# إلى القارئ

بهذا العدد تبلغ مجموعة « الفكر » سبعين سفرا وتنتهى سنتها السابعة، وهي لم تزل تبرز بانتظام وفى الموعد المضبوط رغم الصعوبات المادية وعدم تفرغ المسؤولين عنها لشؤونها • واننا اذ نذكر بذلك فانما نريد أن ننوه بمجهود أسرتها واخلاص مراسليها فى تونس وخارجها وكذلك جماعة قرائها الكثيرين الذين امتحنوها وآمنوا برسالتها وأصبحوا من المتحمسين لها المعينين اياها قولا وفعلا •

فمجلة « الفكر » ليست مجلة شخص بعينه أو جماعة ضيقة بعينها بقدر ما هي ملتقى لأسرة الأدباء والمفكرين عامة ، ومنبر لكل الآراء الصادقة والأفكار النيرة ومجال لكل المحاولات الأدبية الأصيلة القيمة ، رائدها السعى فى تبين ملامح الشخصية الأدبية القومية وتعزيز مقومات الثقافة الوطنية والمساهمة فى اثراء التراث الفكرى فى الوطن الاصغر والوطن الأكبر ، ومبدؤها التمسك بحرية التفكير والتعبير والذود عن حرمة المفكر الأصيل دون المزيف والمتاجر بأدبه ، والايمان بأن النهضة الأدبية المنشودة ثمرة جهاد جميع الادباء مهما كان سنهم أو أسلوبهم أو نزعتهم أو مدرستهم ، وبأن معيار تقييم الأثر الأدبى انما هو قيمته الأدبية الذاتية ، بقطع النظر عن الموضوع ، بل بالرغم عن أهمية الموضوع فى العمل الأدبى ، والايمان كذلك بأن قضيتنا الكبرى ، نحن معشر الأدباء ، ليست الأدب الملتزم أو الادب غير الملتزم مثلا بل هى قضية الأدب أو اللا أدب •

على هذه المبادىء وسعيا فى تحقيق هذه الأهداف لم نزل نجاهد منذ سبع سنوات ونحن أقوى ما نكون على مواصلة العمل بفضل ما أصبحت تتمتع به مجلتنا من تقدير واحترام ـ ومحبة أحيانا ـ فى تونس وفى العالم العربى وفى أقطار أجنبية كثيرة شرقا وغربا وليس أدل على ذلك من تزايد مشتركينا الذين تجاوز عددهم الألف والذين أصبحوا يدفعون اشتراكهم مسبقا ويرفقونه بلطيف العبارات التشجيعية مما يضاعف طاقتنا على العمل ويعيننا على تذليل الصعوبات وتحسين المستوى •

ولا يسعنا الا شكر جميع أحبائنا ومراسلينا ومشتركينا وهم قوتنا الكبرى ومرجعنا الوحيد ومحل اهتمامنا ، ومعاهدتهم بأننا سنواصل الرسالة وسنبقى على العهد ـ لا رغبة ولا رهبة ـ بل قياما بالواجب نحو هذا الوطن العزيز ونحو القيم الانسانية السامية التى تكسب حياة المناضلين معنى رائعا وتجعلهم يشعرون وهم يعانون ويضحون ويتعذبون ، بأنهم يعملون عملا صالحا و « يخلقون » وبأنهم « أسياد » هذا الكون •

الفكر

# أنتما الامال

تحية الشعر يرفعها خالصة مخلصة الى فخامة الرئيس والسيدة الماجدة حرمه

بقلم : أحمد المختار الوزير

أنتما الأمال يلقاها ، على
ظمأ الأشواق ، صبّ ذاكرُ

وبهيجٌ ، من رؤى أحلامه
شغُف القلبُ ، به والخاطر

أنتما الرّضوان والنعمى ، لمن
خانه دهر ، وجَدّ عاثِر

أنتما النورُ لمن يمشي به
عمه الدرب ، وخطو حائر

أنتما الرحمة ، في افيائها ،
يُسْعَدُ الطفل ، ويغنى الكابرُ

أنتما في كل قلبٍ ، فرحة
أنتما الشعر ، وقلبي الشاعرُ

أنتما ، في خاطري ، أسنى المنى
وبعنيّ صباح سافر

كل دنياي وما ألقى بها
أمل يزهو ولحنٌ ساحِرُ

كل دنيـــاي ومـــا أبصـره ،
مـن بشاشات ربيـعٌ بـــاكر
جنّــة حالمـةُ الـدّوح بمـــا
جادهـــا الغيث وروض عاطر
سُبُــلٌ أدنتكمـــا مــن لائــذٍ
سَابِـقَ الطيرَ ، اليها ، السائر

* * *

ياعظيمين نَمَاني ، لكمـــا ،
نِعَــمُ أوْفَتْ ، وحُبٌّ غَــامِرُ
نِعَمٌ غُــرٌّ كــلألاء الضّحَــى
جَلّ ماضيها ، وجـلّ الحاضِرُ

* * *

يا ابنـــة المجد ، ويامجدَ العُلىَ
تَاجُكِ الفجرّي عَهْـدٌ خَــافِرُ
غَرستْ كفاّك خيــرًا وافـرًا
فَجَنَاكَ ، اليــومَ ، خيــرٌ وَافـرُ
بـارك اللهُ ، لـنـــا ، مَــنْ زانَـهـا
حَسَبٌ حُــرٌّ ، وخُلْــقٌ نَاضِرُ
وتَـوَالتْ فرحـة الشعب بمن
« لحبيب الشعب » نِعْـمَ الآزِر

احمد المختار الـوزير

11 ـ 5 ـ 1962

# مـــــن ؟

شعـر : أحمد المختار الوزير

مَالهم يسألــون ، عنّي ، ويُبــدُونَ
عُجَابـًـا مــن مَحْضَرِي ومكــاني
لكأَني غَريبٌ دارٍ نَبَتْ ، بي ،
جَفْوَةُ الدهر عــن لِقَا اخــواني
أو كأَني ، من بينهم ، غُبَّرُ الماضي
تَرَاءَى ، فشانُهم غيــرُ شَــاني
خُلْسَةً يلمحونني، ثم تَزْوَرُّ
وتَــابَـى عُيُــونهم أن تَــراني
مــا الــذي رَابَهم ، ومــا علمتْ
نفسي بســرٍ يَريبُ أو اعــلان
أنــا ، من أجلهم ، تشعّل شَيبي ،
وعَرَاني ، من الضّوي ، مـا عَرَاني
أنا ، مــن أجلهم ، ومن أَجْل
أشــواقي ، وحبي لهم ، وللانسان

غَبَرتْ جِدّتي ، ورَعَّشني الضَّعْفُ
وبَاتَتْ تَشُورُ بي أشجاني
ونَبَا مَضْجعي ، وشُرِّدَ نَومي
وتَلَظّتْ ، بعبرتي ، أجفاني
سوف يدرون مَنْ أنا ، سوف
يدرون ، غدًا . ماحبّي ، وما ايماني
يوم يصْغُون للاهازيج في حقلي ،
ويُسْقَونَ خمرَهم من دِناني
يوم يمتدّ ظلُّ دوحي ، ويغريهم
جَنَاهُ ، بكلّ قِطْفٍ دَانِي
وتَمُرّ الانسامُ فجريّةَ العطر
وتَنْدَى ، مَع الضحي ، أفناني
وتُغَنيهم العَذَارَى باشعارى ،
بأَحْلَى من نَبْرةِ العيدَان
ويعيدُ الصَّدَى ، اليهم ، حياتي
نَشَواتٍ مجنونةَ الأَوزان
ويرون الوجودَ حُبًا ، ولاشيءَ
كحُبّ الانسان للانسان

**احمد المختار الوزير** 2 - 6 - 62

# محاولة في تصنيف الشعر

**بقلم : البشير المجدوب**

ان من الشعر ، وهو ألوان شتى جل أن تحصى ، ما يروعك وينفذ فيك لأول وهلة فيملك عليك نفسك وأنت لم تصدق بعد موقعه منك ، ولا تدرى ماذا حدث لك وأى أمر حل بك ، فكأنه العيون النجلاء تأخذ بلبك قبل أن تتبين الملامح التامة لهذا الوجه الذى طلع عليك • فما ان يجرى « المطلع » على لسانك ويطرق سمعك حتى يبهرك ويهزك توا ويستخفك طربا ، ويرسم لك منذ اللمسة الأولى لوتر الشعور طابع النغم ويبلغك قمة روعته وغاية منتهاها

وليس بعد ذلك الا أن يتأكد هذا الطابع ويتضح ، ويتسع هذا اللون عينه من الروعة ويزداد ، دون ان يغاير أصله أو يبين عن عنصره •

انه الشعر النهم الذى يأبى الا أن يفوز بأعجابك دفعة واحدة ويحصل طربك نقدا دون امهال أو مماطلة أو تريث •

كقول الشاعر فى هذا التمهيد الجميل (1)

**عيد ! باية حال عدت يا عيد ؟ — بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟**
**اما الأحبة فالبيداء دونهم — فليت دونك بيدا دونها بيد !**
**يا ساقيى اخمر فى كؤوسكما ؟ — ام فى كؤوسكما هم وتسهيد ؟**
**اصخرة انا ؟ مالى لا تحركنى — هذى المدام ولاهذى الأغاريد ؟**
**اذا اردت كميت اللون صافية — وجدتها وحبيب النفس مفقود**

*

وكقول الآخر (2) :

**ايها الساقيان صبا شرابى — واسقيانى من ريق بيضاء رود**
**ان دائى الظما وان دوائى — شربة من رضاب ثغر برود**
**ولها مضحك كغر الأقاحى — وحديث كالوشى وشى البرود ...**

*

ومن الشعر ما يحسن بك ، أولا وقبل أى تشرط ، ان تعطيه قياد نفسك وتمكنه منها دون تأب او نفور وتقبل عليه حسن الظن مسمحا مطواعا

---

(1) **المتنبى (هجاء كافور)**
(2) **بشار بن برد**

فكأنه يهيب بك : أن ثق بى سلفا وتنازل لى عن ارادتك واختيارك وحدودك ساعة ، على أن تخبرنى بعد وترى مسافة مابين الظن والحقيقة ، وعليك ان يختفى شخصك ويسكت لسان عقلك وليس الا أن ترهف سمعك ويشرئب قلبك ولا تحلل ولا تفصل ولا تدقق ولا تجزىء ولا تناقش ولا تعترض ، وانما هو الاستيعاب المحض والتلقى والقبول ·

كذا ينبغى أن تكون قراءتك لهذا النشيد : (3)

غير مجد فى ملتى واعتقادى ... نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعى اذا قيـ ... ـس بصوت البشير فى كل ناد
ابكت تلكم الحمامة ام غنت ... على فرع غصنها المياد ؟
صاح ! هذى قبورنا تملأ الرحب ... فاين القبور من عهد عاد ؟
خفف الوطء ما اظن اديم الأ ... رض الا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وان قدم العهد ... هوان الآباء والأجداد
سر ان اسطعت فى الهواء رويدا ... لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا ... ضاحك من تزاحم الاضداد
تعب كلها الحياة فما اعجـ ... ـب الا من راغب فى ازدياد
ان حزنا فى ساعة الموت اضعا ... ف سرور فى ساعة الميلاد

*

ومثله قول الشاعر (4) فى هذه المرثية النادرة :

علو فى الحياة وفى الممات ... لحق تلك احدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك ايام الصلات
كانك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء ... كمدهما اليهم بالهبات

ومن هذا الصنف شعر أبى نواس فقد تجحده وتنكره فى عامة وقتك ولكنك مضطرا أن تعنو له أخيرا وتقر بفضله ·

* * *

ثم هناك شعر يستهويك بلا شىء ، بلا أداة أو واسطة ، سحر محض ·

---

(3) أبو العلاء المعرى

(4) ابن الأنبارى رثاء أبى طاهر محمد بن بقية وقد صلب بعد ان قتل)

فهو اللفظ كاللمح يلمس النفس تيارا خفيا فتنداح في أرجائها دوائر رنين وتموجات شعور وأخيلة سراب •

وعبثا تبحث عن أغوار وأعماق تغوص فيها وتتيه ، وعبثا تبحث فيه عن أصل أو مبرر أو وجه لهذا الطرب والتأثير ، فلن تجد غير النغم يطوف بك ويلتف حولك هالة راقصة •

شعر كالماء النمير تسيغه وتحمده جوارحك ولكنك لا تتبين طعمه ولا تدرك كنه عذوبته •

هو اليك ان نظرت اليه جملة فاذا أردت التفصيل والتمييز تهافت واختفى •

مثل هذا الشعر تستطيع أن تسمعه « بأذن واحدة » ، أن تصغي اليه غافلا شارد اللب فلا بد أن يلاحقك بنبرة خاصة ويمس نفسك بنكهة مبهمة غريبة لانك لا تستطيع أن تقطع في أمرها • أهي في اللفظ أم في المعنى أم فيهما معا ممتزجين متآلفين حتى لاجفاء بينهما ولا انفصام •

انه بيان الموسيقى وايحاء الموسيقى ، بليغة في ابهامها نيرة على خفائها وغموضها • وان به كقوة العدوى فهو كصوت قينة ابن الرومي لا يحجبه عن القلب شيء :



يلج السمع مستمرا الى القلب بلا اذن لا ولا استئذان (5)

فلنصغ الى هذه النبرة الخاصة في مرثية لبشار : (6)

يا بن موسى ماذا يقول الامام
في فتاة بالقلب منها أوام ؟

★

بت من حبها أوقر بالكاس
ويهفو على فؤادي الهيام

★

لم يكن بينها وبيني الا
كتب العاشقين والاحلام

★

(5) من قصيدة « يوم المهرجان » لابن الرومي
(6) رثاء أصدقائه

يابن موسى اسقني ودع عنك سلمى
ان سلمى حمى وفي احتشام

*

رب كأس كالسلسبيل تعللت
بها والعيون عني نيام

*

يابن موسى فقد الحبيب على العين
قذاة وفي الفؤاد سقام

*

كيف يصفو لي النعيم وحيدا
والأخلاء في المقابر هام

*

وثمة شعر كأنه لوحة الرسام يقتضيك أن تتأخر عنه قليلا كي تدرك النسبة المطلوبة أو تقف منه بزاوية خاصة تظفرك بتآلف الظلال والأضواء وتهديك الى معنى الملامح والقسمات ومغزى الألوان والخطوط ، أو هو كالحلم استغلق منه فتعييك رياضة الكشف عن دقائقه ورموزه فتجهد لتعيشه ثانيا وتغمس نفسك فيه عساه ينفتح ويضيء ٠

قال الشاعر : (7)

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهر
يرجه المجذاف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما النجوم

*

ومنذ ان كنا صغارا ، كانت السماء
تغيم في الشتا
ويهطل المطر
وكل عام ـ حين يعشب الثرى ـ نجوع !
ما مر عام والعراق ليس فيه جوع
مطر
مطر
مطر

(7) بدر شاكر السياب (انشودة المطر)

**فى كـل قطـرة من المطـر**
**حمراء أو صفراء من أجنة الزهـر**
**وكـل دمعـة من الجياع والعـراة**
**وكـل قطـرة تـراق من دم العبيـد**
**فهى ابتسام فى انتظار مبسم جديد**
**او حلمة تـوردت عـلى فم الـوليد**
**فى عـالم الغـد الفتى ، واهب الحياة !**
**مطـــر**
**مطـــر**
**مطـــر**
**سيعشب العراق بالمطـر ...**

* *

ويدخل فى هذا اللون بعض من الشعر الصوفى كشعر ابن الفـارض والسهروردى وعلى الاخص لاميته الرائعة (8)

◆ ◆ ◆

بعض الشعر يسلك معك طريق « الاقناع » ويـؤثر « الحجة » وان تكن حجة القلب والحس ويطيب له أن يحاورك ويطارحك الـرأى وينقلك خطوة خطوة الى حيث يريد ·

انه يرفض أن يغتصب اعجابك اغتصابا ويربـأ بك أن يعاملك بغيـر الرصانة والتؤده فكأنه ، اذ ينشدك ، يستشيرك ويتحسس رغباتك واحدة واحدة فيبادر باستجاباتها قبل أن تقوم فى نفسك وتطفو على صفحة ضميرك·

وينتهى بك الامر ، وقد استدرجك الشاعر بهذه اللباقة المتناهية ، الى الشعور بأنك أنت صاحب هذا الشعر قد شاركت فى خلقه بل قد صنعته بمحض فكرك ونفثت فيه من روحك ·

هذا فن ابن الرومى خـاصة فى قصيدتيه الجيدتـين « القينة وحيـد » « ورثاء ولده الأوسط » ·

قال يرثى ولـده :

| | |
|---|---|
| **بكاؤكما يشفى وان كـان لا يجـدى** | **فجـودا فقـد أودى نظيركمـا عنـدى** |
| **الا قـاتـل اللـه المنـايـا ورميهـا** | **من القوم حبـات القلوب عـلى عمـد** |
| **وانـى وان متعـت بـابنـى بعـده** | **لـذكـره مـا حنت النيب فى نجـد** |
| **واولادنـا مثـل الجـوارح أيهـا** | **فقـدنـاه كـان الفـاجـع البين الفقـد** |
| **لكـل مكـان لا يسـد اختـلالـه** | **مكـان أخيـه من جـزوع ولا جلـد** |
| **هـل العين بعد السمع تكفى مكانـه** | **أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى** |

◆ ◆ ◆

هذه الاصناف كلها وغيرها مما لا يمكن حصره تصدر جميعها عن أصلين متميزين هما العقل والحس ، وعلى قدر حظ كل صنف من هذين العنصرين المختلفين المتآلفين يكون طابع الشعر وصبغته ، وبذلك يتفرع الى ما لانهاية له من الضروب والالوان ·

---

(8) **وهذا مطلع اللامية :**

**لمعت نـارهـم وقـد عسعس** **الليل ومـل الحـادى وحار الـدليل**

وخير مثال عندى للشعر الذى حقق توازنا رائعا بين « الحس » والعقل فتحدث اليهما وشفى غليلهما على السواء هو شعر ابن الرومى .

ان أول من اهتدى الى تركيب الشعر بل الأدب عامة وبيان ماهيته ورأى تقسيمه باعتبار عنصريه الأساسيين هو أبو حيان التوحيدى فى كتاب « الامتاع والمؤانسة »

قال : قال شيخنا أبو سليمان : الكلام ينبعث فى أول مبادئه اما من عفو البديهة ، واما من كد الروية ، واما أن يكون مركبا منهما ، وفيه قواهما ، بالأكثر والأقل ، ففضيلة عفو البديهة أنه يكون أصفى ، وفضيلة كد الروية أنه يكون أشفى ، وفضيلة المركب منهما أنه يكون أوفى ، وعيب عفو البديهة ان تكون صورة العقل فيه أقل ، وعيب كد الروية أن تكون صورة الحس (9) فيه أقل ، وعيب المركب منهما بقدر قسطه منهما : الاغلب والاضعف ، على أنه ان خلص هذا المركب من شوائب التكلف ، وشوائن التعسف ، كان بليغا مقبولا ، رائعا حلوا ، تحتضنه الصدور ، وتختلسه الآذان ، وتنتهبه المجالس، ويتنافس فيه المنافس بعد المنافس ، والتفاضل الواقع بين البلغاء فى النظم والنثر ، انما هو فى هذا المركب الذى يسمى تأليفا ورصفا » .

(9) الحس يفهم منه هنا كل من العاطفة والخيال

تعليق : للشاعر الفرنسى الكبير فاليرى *Paul Valery*

**كلام فى هذا المعنى وهو خاص بموضوع الشعر فكان لذلك ادخل فيما نحن بصدده . قال : ان الكلمات فى الغناء تجنح الى فقدان قيمتها المعنوية . وهى تفقدها فى أكثر الاحيان . أما الطرف المقابل وهو النثر العادى فان القيمة الموسيقية فيه تجنح الى التلاشى بحيث يكون الغناء من جهة والنثر من جهة اخرى متقابلين بالنسبة الى البيت من الشعر ويستقر البيت فى توازن رائع دقيق جدا بين القوة الحسية للكلام وقوته العقلية .»**

**البشير المجدوب**

# الشمس والـزيتون والحمـام

شعـر : نور الدين صمود

طهرت ياخضراء أرضك من خفافيش الظلام
بنزرت ٠٠٠ يا ثغر البلاد ٠٠٠ متى ستنعم بابتسام ؟

**

قسما بخيمتنا الحبيبة بين آكـام الرمـال
بالبرد يرعد أضلع الفلاح فى ليل السعال
بالحـر يصلى جسمه المنهوك ٠٠٠٠
بالاحـلام فى أحـلى الليالى
بالقمح يغمر أرضنا مثل النضار وكاللآلى
قسما بأمواج السنابل فى السهول وفى التلال
بالنخل والزيتون يمنح موطنى اشهى الغلال ٠٠٠٠
سنبيد هـذى الطغمة الحمقاء اشباه الرجال
سنبيــد أعـداء السلام
احفـاد (هولاكو) اللئـام
من شردوا سرب الحمـام
من اقبلوا مثل الظلام
كى ينشروا روح الظـلام
بـدل المحبـة والوئـام
يا صاحب الـوجـه الرقيع
يا شارب التبغ الـرفيـع
(والكوكاكولا) والنبيـذ
والخمـر والوسكى اللذيـذ
يا نازلا مثـل الجـــراد
يا ناشرا روح الفساد
يا ساقطا مثل العفـن
يا جاهـلا معنى الوطن
أعـرفت أيـة بـؤرة ٠٠٠
لفظتك فيها أمك الرعناء من ارحامها ؟

انت الحقير فلست تعرف من ابوك ومن رمتك الى الوجود
لم تنتشق روح الحنان بحضن امك ••• لم يحطك به أب
لـم تدر ما معنى الوطن •••
كـلا ••• ولا استنشقت اشذاء التراب
فلتقتل الآباء والأم الرؤوم
ولتحـرق الارض الحنون ومن عليها باليتم
ولتحرق الصبيان فى أحضان أمهم العطوف
أعرفت يوما ما الحنان •• وما التراب •• وما الوطن ؟
اعرفت يوما ما الرعاية ••• ما الأبـوة ؟
اعـرفت ما معنى الأخـوة ؟
أعرفت اسرار الطفولة والبنوة ؟
كـلا فانت مشـرد
تتعشق الموت الرهيب وتشتهى رؤيـا الخـراب
قد مـات فى أعماقك الانسان يا نسل الذئاب
يا جاهلا سر الحياة وسر أشذاء التراب

«الهتلرية» عشعشت فى رأسك المأفون •••
كالطـاعـــون •••
كالنـــار المبيـــده
فأتيت تنشر ما قد لقنوكم من دروس
فى العنف والتقتيل والارهاب والحرب الضروس
فى قلب بـاريس العتيدة
أم الحضارات المجيده

كـلا فـرنسا ليس هذا الجند جندك
من نسل «لامرتين» او «روسو» العظيم
من نسل «فـولتيـر» الحكيم •••
من نسل من قد شيدوا فى الكون مجدك
بـل من حثالة نسل جيش «الهتلرية»
أيام عاثوا فى فرنسا ••• فى عذاراها الحسان
ايام داسوا حرمة الشرف المصون
ان كنت يومـا تدركين
ما قيمـة الشرف المصون

رضعوا لبان الحقد « والنازية » النكراء كالسم المرير
وتسربت فيهم دمـاء « الهتلريـة »
وترعـرعوا مثل الخفافيش الحقيرة
تتصيد الحشرات فى الليل الرهيب
تتعلم الاجرام فى الحانات ... فى دور الخنـا

**

وأتـوا كسرب من جـراد
كى يـزرعوا روح الفساد
ليجددوا المأساة فى ارض السلام
ارض الزياتين الخصيبة والحمام
كلا فأرض الشمس والاشعاع مقبرة الظلام
وغـدا سينبثق الضياء
يجتـاح أشلاء اللئـام
ويهـل فجر النصر فى عيد السلام
فالشعب أقسم فى ابـاء
باسم الـدمـوع وبالدمـاء
باسم الشهيـدة والشهيد :
« ما غير اعياد الجـلاء »
تستعذب الخضراء عيـد »

**

طهرت يا خضراء ارضك من خفافيش الظلام
بنزرت يا ثغر البلاد ... متى ستطفح بابتسام ؟

نـور الدين صمـود

# ماضي الدراسات العربيــة الصقلية وحاضرها

بقلم : امبرتــو ريزيتــانو

يسرني أن أعرب عن بالغ شكري لهذا المعهد الثقافي (1) لتفضله بدعوتي الى المحاضرة في موضوع « ماضي الدراسات العربية ـ الصقلية وحاضرها » وهو موضوع حبيب الى نفسي لصلته الوثيقة بالدراسات التي أنا منصرف اليها منذ سنين والتي عثرت على بعض مصادرهـا المجهولة في هذه الديـار المضيافة

واستهلالا للحديث أذكر أن الاهتمام بهذه الدراسات قد بدأ في القرنين السابع عشر والثامن عشر على أيدي بعض المؤرخين ، وعلى رأسهم انطونينو داميوكو (Antonio d'Amico) و اجوستينو انفيجيس (Agostino Inveges) وجـان باتيستا كـاروزو (Giambattista Caruso) وفـرانشيسكو طارديـا (Francisco Tardia) وقليلين غيرهم كان نصيبهم من اللغة العربية ضعيفا جدا ولم يصلوا في اجادتها الى الحد الذي يمكنهم من فهم النصوص العربية الخاصة بتاريخ مسلمي صقلية ٠



اما الاهتمام الحقيقي لرجال العلم والثقافة بماضي صقلية ، فقد صادف تزييفا للتاريخ لا مثيل له في الدراسات العلمية الايطالية ، في غابر الازمنة وحاضرها ٠ واليكم خلاصة ما قام به غشاش من اجراء الغشاشين الذين عرفهم التاريخ اسمه جوزيبي فيللا (Giuseppe vella) ملطي الاصل وكان راهبا من الرهبان الاورشليميين بدير من أديرة بالرمو ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وكانت اللغـة العربية التي ادعى انه يتقنها خليطا من العـربية الفاسدة والايطالية الركيكة ٠ وكان يستطيع ان يفهم منها ـ على ما نقرأه في تاريخ مسلمي صقلية لميكيلي آماري ـ ما كان يستطيع ان يفهمه احد فلاحي روما المعاصرين من لغة الكاتب اللاتيني شيشروني (Cicerone) وفضلا عن ذلك كان يجهل جهلا تاما الخط العربي ولم يتعلمه الا بعد سنوات عديدة عندما قابل في مدينة بالرمو نفسها غلاما مسلما من خدم امير من امراء العاصمة كان يجيد القراءة والكتابة٠كان فيللا المذكور يفتقر افتقارا شديدا الى كل مجالات الثقافة وكان ماكرا جريئاوثرثارا صفيق الوجه يتقن تلفيق الاخبار واختراعها وبعد الدروس التي تلقاها على الغلام السالف الذكر قام بمهمة جديدة اذ عمد الى اصطناع وثيقتين ادعى ان لهما اصلا عربيا عنده ولكنه لم يظهر منهما الا تـرجمتهما الايطالية : وقد جعـل عنوان الـوثيقة الاولى « ديـوان صقلية »

(1) نص المحاضرة التي القاها الاستاذ ريزيتانو بدار الجمعيات الثقافية في شهر ماى 1962

(Consiglio di Sicilia) وادعى انها تشتمل على جميع المراسلات التى دارت بين ولاة المسلمين بجزيرة صقلية وامراء بنى الاغلب والفاطميين بافريقيا ٠

اما الوثيقة الثانية من الوثيقتين اللتين اختلقهما فقد جعل عنوانها « ديوان مصر » (Consiglio d'Egitto) وزعم انها تحتوى على مجموعة المراسلات التى تبودلت بين الامراء النورمانديين فى صقلية والخلفاء الفاطميين بمصر فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر بعد الميلاد ٠

اما الحقيقة فهى ان ذلك المزيف الجرىء وجد فى احد اديرة بالرمو مخطوطا يحتوى على سيرة من السير النبوية فطمس الخط العربى لكى يجعله غير صالح للقراءة ولمقارنة بالنص الايطالى الذى كان قد اخترعه اختراعا والمشتمل على خليط من الاساطير الباطلة ٠ ووصل الامر الى حد تزييف بعض النقود التى زعم انها ترجع الى العصر العربى الاسلامى ٠ وبهذه الطريقة عاش ذلك المزيف الجاهل مدى اربعة عشر عاما من 1783 الى 1796 عيشة الترف ونال الرتب والاوسمة والنياشين وحظى باحترام الحكام وصلاتهم كما تمتع بمرتبات متعددة منحت له مدى الحياة ونيطت به ادارة كنيسة سان بنكراسيو (S. Pancrasio) واخيرا عندما ظهر لرجال العلم والقضاء تزييفه وغشه قضوا باعتقاله ٠

وعلى الرغم من ذلك اتاح غش القسيس فيللا وتدليسه الفرصة للقيام بدراسات وابحاث جدية كان لها اثر مشكور ، اذ ان العالم البحاثة الفونسو ايرولدى (Alfonso Airoldi) اسقف هيراكليا بصقلية ـ الذى كان يساعد فيللا بحسن نية ويشجعه فى ابحاثه قبل ان يكتشف امر غشه وتدليسه ـ كان قد استحضر على حسابه الخاص احرفا عربية واشترى كتبا كثيرة وانفق فى سبيل ذلك الكثير من ماله الخاص ٠ كذلك عمل الأسقف المذكور على ايجاد «كرسى» جامعى لتدريس اللغة العربية وآدابها فى جامعة بالرمو ، ذلك الكرسى الذى شغله فيما بعد مستشرقون افذاذ من امثال مورسو ومورتيللارو (Mortillaro, Morso) واستاذى الكبير كارلو الفونسو نالينو وهذا الكرسى أتشرف بشغله فى الوقت الحاضر ٠ هذا ، وقد اخذ الكاتب الذائع الصيت روزاريو جريجوريو (Rosario Gregorio) (المتوفى سنة 1809) فى دراسة اللغة العربية لشدة رغبته فى كشف حقيقة فيللا المذكور واماطة اللثام عن غشه وتدليسه ، وبعد مضى ثلاث سنوات نشر بحثا قيما حول تحقيق التواريخ الخاصة بالعرب الصقليين (De Supputandis apud Arabos Siculos Temporibus) وخلال اربع سنوات اخرى نشر سنة 1790 مجموعة واسعة من الاخبار والحوادث العربية المتعلقة بتاريخ مسلمى صقلية فى القرون الوسطى عنوانها
(Rerum Arabicarum, quae ad Historiam Siculam Spec tant ,ampla Collectio)
وانا لنلاحظ ان المجموعة المذكورة قد ظهرت فى الوقت نفسه الذى ظهرت فيه مجموعة فيللا المزيفة السالفة الذكر ويجب أن نعترف ، نظرا للوقت

والظروف التي جمعها فيها ، بعظم الجهـود التي بذلها جريجوريو في مؤلفه المذكور • على ان هذا لا يمنعنا من القول بان هذه المجموعة كانت بعيدة كل البعد عن الاتقان والدقة وما ذلك الا لان جريجوريو المذكور لم يكن قد بلـغ الدرجـة التي تؤهله ــ او تؤهل من كـان في مثـل حالته ــ ليقرأ في يسر سطرين من مخطوط عـربي او ليعرف حق المعـرفة قواعد اللغـة العـربية ومصطلحاتها •

اما سلفاتوري مورسو (Morso) (المتوفى سنـة 1828) الذى خلف فيللا (Vella) في تدريس اللغة العربية في جامعـة بالرمو فكانت معرفته لهذه اللغة واسرار قواعدها تفوق الى حد ما معرفة جريجوريو وقد اشتغـل بعلم الوثائق والسجلات والنقوش والنميات وترك ، فضلا عما تركه من ابحاث « مخطوطة »، مؤلفا عنوانه « بالرمو القديمة » احتوى على وصف تفصيلي للمدينة في القـرن الثاني عشر • امـا فنشنزو مورتيللارو (Vincenzo Mortillaro) وكان من تلامذة مورسو فنشر فيما بعد ضمن مؤلفاته العديدة وثيقة عربية من الوثائق المختلفة المحفوظة في بالرمو وقائمة المخطوطات العربية الموجودة اذ ذاك في صقلية وكتاب قواعد اللغة العربية ، كما نشر بعض الابحاث عن التاريخ الاسلامي في مجلد لا يستهان به •

اما العلامة والمؤرخ والمستشرق الصقلي الذى في امكاننا ان نعتبره بدون مبالغة المثل الاعلى للعزيمة والاستقامة وحب الحقيقة والتعلق ببلاده ، فهو بلا شك ميكيلي آماري • ولعل ما يعني الشرقيين والمستشرقين من امره هو انه كان أعظم مؤرخي صقلية واقدرهم • وقـد بقيت المؤلفات التي كتبهـا عن الفتح الاسلامي لها بعد مضى اكثر من قرن ، فريدة في بابها ويغلب على الظن ان ابحاثه ستظل محتفظة بهذه المنزلة زمنا طويلا •

هاجر آماري من صقلية الى باريس عام 1842 حيث تعلم اللغة العربية وكان اذ ذاك يبلغ من العمر ستا وثلاثين سنة وكان هدفه الاساسي اخراج مؤلف حافل عن تاريخ المسلمين في صقلية ، معتمدا عـلى المصادر الاصلية وذلك لتوضيح تاريخ الجزيرة الايطالية خلال قرنين ونصف القرن من الزمان قبض المسلمون خلالها على زمام الحكم وكان تاريخ تلك الحقبة غامضا اثنـاء القرن الذى عاش فيه آمـاري •

واننا لنقرأ في الجزء الاول من تاريخه عن مسلمي صقلية انه عندمـا وصل الى مدينة باريس بدا له انه قد اصبح لزاما عليه ان يضع مـؤلفا في هذا الميدان • وفكر انه لن يوجد بين جميع المؤرخين من الايطاليين وغيرهم من هو اجدر منه للقيام بهذا العمل لانه صقلي الاصل مهتم ببلاده اكثر من اهتمام اى انسان آخر بها •

ومنذ هذه اللحظة شرع في القيام بجمع النصوص المتعلقة برسالته سواء أكانت منشورة ام مخطوطة ، وكثيرا ما كان يعتمد على الوثائق المخطوطة ٠

لم تكن معرفته باللغة العربية قد وصلت الى حد الكمال وذلك لسببين: اولهما انه قد بدأ دراسته في سن غير مبكرة ، وثانيهما انه كان يعيش عيشة الرجل المنفى عندما كان في باريس وكانت حالته المالية غير ميسورة او سعيدة وبالرغم من ذلك استطاع في وقت ليس بالطويل ان يجمع ويقيم ويفسر العدد الكبير من النصوص التي كانت متناثرة على صفحات مختلف الكتب والمخطوطات سواء أكانت عربية ام لاتينية ام يونانية ٠ وكان ذلك على الاخص في الوقت الذي لم يكن قد نشر فيه سوى الشيء القليل منها ٠ وكان ينشر كل ما كان يرى فيه فائدة للعلم في اثناء قيامه بهذا العمل الجبار، لذلك عنى بترجمة وصف مدينة بالرمو لابن حوقل (الذى كان يعيش في القرن العاشر للميلاد) ونشره كما قام بترجمة (سلوان المطاع) لابن ظفر (الذى ولد في صقلية في القرن الثاني عشر للميلاد) ولم تمض سنوات على هذا النشاط العلمي حتى ظهرت ثمرة طيبة من اعظم ثمار دراساته وابحاثه: هي مجموعة النصوص التاريخية والجغرافية والادبية الخاصة بتاريخ مسلمي صقلية التي اسماها « المكتبة العربية الصقلية » والتيطبعت عام 1857 على نفقة الجمعية الشرقية الالمانية ثم ترجمها فيما بعد الى اللغة الايطالية ٠

ولكن المؤلف الذي خلد اسم آماري على الزمان هو كتابه العظيم المسمى «تاريخ مسلمي صقلية» (الذيظهر الجزء الاول منه في مدينة فلورنسا عام 1854 والجزء الثالث والاخير عام 1872) وعصر فيه آماري لب جنانه ووضعه بعبقرية لا مثيل لها ٠ وتوجد اليوم طبعة ثانية عني بنشرها المأسوف عليه المستشرق المعروف كارلو الفونسو نالينو الذي أضاف الكثير من التعليقات التي رأى ضرورة اضافتها على ضوء تقدم الابحاث التاريخية الاسلامية في السنوات الخمسين الاخيرة ٠

من هذا كله يتضح جليا ان الدراسات المتعلقة بانتشار المدنية الاسلامية في الغرب عامة والابحاث التي تدور حول تاريخ مسلمي صقلية خاصة مدينة لميكيلي آماري بتقدمها وذيوعها في اوروبا منذ منتصف القرن الماضي ، كما تدين الدراسات الخاصة بتاريخ الاندلس خلال الفتح الاسلامي لدوزي اولا ولليفي بروفنصال ثانيا ، فقد بذلوا مع غيرهم جهودا شاقة لكي يلقوا الضوء على تلك الفترات التاريخية التي استقرت فيها الثقافة الاسلامية في المغرب وتغلبت على عناصر المدنية الغربية التي كانت في انحطاط جلي ولا سيما في القرن التاسع الميلادي ٠ وفضلا عن ان آماري استخرج من بين عشرات المصادر العربية تلك المادة الخام التي تلزم لسرد تاريخ مسلمي

صقلية ، فان بعض الباحثين قد قاموا بنشر نصوص مختلفة اخرى سنة 1910 فى مؤلف عنوانه « العيد المئوى لميلاد ميكيلى آمارى » فقد عثر بعض المحققين الشرقيين والغربيين (كما عثرت انا فى هذه السنوات الاخيرة) على بعض النصوص الاخرى المتعلقة بمسلمى صقلية مما يدل على ان البذرة التى بذرها آمارى منذ اكثر من قرن لا تزال تثمر من حين الى آخر ثمراتها التى جاءت تبيانا لبعض النواحى التاريخية والاجتماعية والادبية التى لم يستطع آمارى الوصول اليها ٠

وعقب عودة آمارى الى ايطاليا ، شغل بعد سنوات قليلة كرسى تاريخ صقلية فى اثناء الحكم الاسلامى بجامعة فلورنسا حيث تتلمذ عليه (C. Schiaparelli) (المتوفى سنة 1919) وكان الاخير على عكس استاذه لغويا اكثر منه مؤرخا ، ومن اجل ذلك جاء عمله مكملا لعمل آمارى ٠ وقد اشترك مع استاذه فى نشر وصف ايطاليا الموجود فى (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) للادريسى وترجمته٠وقد انكب فيما بعد على دراسة مؤلفين، سبق ان اقتصر آمارى على دراستهما من ناحية تاريخ مسلمى صقلية فقط ، اولهما الشاعر ابن حمديس وقد اعتنى بتحقيق ديوانه وترجمته الى الايطالية ترجمة لم تنشر بعد ، وثانيهما ابن جبير ، فترجم الى الايطالية رحلته المشهورة معتمدا على النص الذى سبق ان نشره المستشرق الانجليزى المعروف « رايت » (Wright)

ويمكن اعتبار الراهب الصقلى (Lagumina Bartolomio) (المتوفى سنة 1931) تلميذا من تلاميذ آمارى الروحيين واليه يرجع الفضل فى نشر فهرس المخطوطات الشرقية الموجودة بمكتبات صقلية ومن بينها تسعة وعشرون مخطوطا عربيا ، والفهرس موجود فى المكتبة الاهلية ببالرمو ٠ كذلك نشر كتاب النخل للسجستانى ٠ ولكن هذا الراهب المستعرب اشتهر بصفة خاصة بدراساته القيمة فى مجال النميات العربية النورماندية ٠

وفى الحقبة نفسها كرس العلامة (Salvatore Cusa) جهوده لجمع الوثائق العربية الاغريقية الموجودة بصقلية وقام بنشر عدد كبير منها فى مجلد واحد ووعد بنشر مجلد آخر يشتمل على الترجمة الايطالية للنصوص الاصلية والتعليق عليها ٠ ولكن هذا المجلد الآخر لم يظهر بعد ٠

وقد حان الوقت للحديث عن مساهمة الناطقين بالضاد فى الدراسات العربية الصقلية ٠

كان اول من اتجه الى هذا الميدان العلمى هو العلامة التونسى حسن حسنى عبد الوهاب الذى تقدم ببحث لمؤتمر المستشرقين الرابع المنعقد

بالجزائر عام 1905 ، عن الاحتلال العربى لصقلية • وبعد هذه الانطلاقة الاولى خصص محمد بن الخوجة التونسى ايضا اربعة ابـواب من الرزنامة التونسية لسنة 1909 لصقلية ولكن المساهمة العربية العلمية بمعنى الكلمة فيالدراسات التى نحن بصددها ترجع الى سنة 1910 عندما ظهرت « الذكرى المئوية لميكيلي آمـاري » فى مجلدين يضمان ابحاثـا عن صقلية الاسلامية ، ومن بـين هذه الابحاث مستخرجات عن « اعمال الاعـلام » للسان الدين ابن الخطيب اعتنى بنشرها حسن حسنى عبد الوهاب ومختارات عن « طبقات افـريقية » لابى العرب وللخشنى اعتنى بنشرها محمد بن شنب •

اما فى مصر فكان اول من اهتم بصقلية الاسلامية فيما اعلم فهو الاستاذ امين الخولى الذى نشر عام 1923 فى مجلة « المقتطف » بحثا عن المدنية العربية فى صقلية •

ومن الجزائر نشر الاستاذ احمد توفيق المدنى عام 1945 كتابا بعنوان « المسلمون فى جـزيرة صقلية وجنوب ايطاليا » اعتمد فى تأليفه عـلى اهم المصادر العربية ونقل ما جاء فيها دون ان يقوم بما ينبغي ان يقوم به الباحث من نقد وتعليق • ومع ذلك فيمكن اعتبار هذا المؤلف اول محاولة كاملة تظهر على ايدى احد المؤلفين الناطقين بالضاد • أما فى مجال الشعر الذى ازدهـر بصقلية أثناء الحكم الاسلامي وفى فتـرة الـولاة النورمنديين فنشر صديقى الاستاذ عثمان الكعـاك بحثا قيما عن مختصر الصيرفى للـدرة الخطيرة فى شعراء الجزيرة لابن القطاع الصقلي، وظهر هذا البحث فى مجلة علمية تنشرها كلية الآداب بجامعة بالرمو •

وقد ظهر فى السنتين الاخيرتين فى هذا الميدان ،بفضل جهود الاستاذ الاردنى احسان عباس ، عملان قيمان اولهما من تأليفه وعنوانه « العرب فى صقلية » • اما العمل الثانيفكان اعادة طبع ديوان ابن حمديس الصقلي • وقد وعد الاستاذ احسان عباس (الذى تتلمذ على زميليالدكتور شوقى ضيف وكان لى شرف توجيهه فى دراساته الصقلية عندما كنت ادرس بجامعة القاهرة) بنشر ما وصل الينا من الشعر العربى الذى ازدهـر فى صقلية ايـام حكـم المسلمين لها •

وكتاب « العـرب فى صقلية » يعتبر بحق بحثـا كامـلا من النـواحى التاريخية والاجتماعية والادبية والنقدية ، ونتيجة موفقة لتعمق الباحث فى المصادر العربية المتعلقة بهذا الموضوع • اما عن اعادة طبع ديوان ابن حمديس الذى سبق ان نشره سكيابريلى (Schiaparelli) فقـد كنـا ننتظره من المحقق خطوات اوسع من تلك التى قام بها عند نشره للديوان كما كنا ننتظر من الباحث الأردنى ان يبذل اكثر مما بذله من الجهـود فى التعليقات لاجل

ايضاح بعض ابيات ابن حمديس التى ما زالت غامضة فى معناها وفيما تشير اليه من الحوادث التاريخية كل الغموض ٠

وكان اول من أشار من المصرين الى شاعر سرقوسة ابن حمديس هما الاستاذان عبد المغنى المنشاوى ومصطفى السقا اذ نشرا سنة 1929 فى كتابهما المدرسى المرسوم « ترجمة ابن حمديس الصقلى » مقتطفات من شعره فى الوصف والمديح والرثاء مع مقدمة تاريخية وافية عن حياة الشاعر ونشاطه فى صقلية وفى افريقية وفى الاندلس ٠

* * *

وعند هذا الحد ، نعود الى الجزيرة نفسها حيث اعادت كلية الآداب ببالرمو سنة 1959 كرسى تدريس اللغة العربية وآدابها بعد ان توقفت هذه الدراسات ما ينيف على خمس عشرة سنة ٠ ومما لاشك فيه ان اعادة هذه الدراسات قد أثارت اهتمام المستشرقين والدارسين الشرقيين مما سيكون له اثر فى ازدهار البحوث الخاصة بها واتساع مداها ٠ والواقع انه قد عقدت بالفعل فى اكتوبر الماضى فى بالرمو ندوة للدراسات الصقلية الشرقية ٠

بناء على ما قرره مركز تعاون شعوب البحر الابيض المتوسط (Centro per la Cooperazione Mediterranea) فدعا المتخصصين فى الدراسات البيزانطية والعربية الاسلامية والالبانية الى عقد هذا الاجتماع ، وقد تفرعت هذه الندوة الى ثلاث شعب وهى :



الاولى ـ الدراسات الاغريقية البيزانطية الصقلية

الثانية ـ الدراسات العربية الاسلامية الصقلية

الثالثة ـ الدراسات الالبانية الصقلية

وحضر هذه الندوة الموفقة متخصصون من مصر والجزائر وفرنسا وايطاليا ايضا كما اشترك فيها الاستاذان عثمان الكعاك ومصطفى زبيس٠وكنا نطمع فى اكثر من هذا نظرا لاهمية التراث الثقافى العربى فى صقلية ٠

ومن آثار عودة الدراسات العربية الاسلامية الى كلية الآداب بجامعة بالرمو ، بعد انقطاعها ، ان قررت الجهات الايطالية الرسمية اعادة طبع جميع مؤلفات آمارى سواء منها ما كان خاصا بالدراسات العربية الاسلامية او بغير هذه الدراسات طبعة تشرف عليها حكومتنا ، وتتألف اللجنة التى سوف تشرف على هذه الطبعة من بعض المستشرقين الايطاليين ونخبة من المؤرخين المتخصصين فى تاريخ القرون الوسطى ٠ وثمة مسألة اعتقد ان الدارسين

سيبتهجون كثيرا لمعرفتها : اعنى نشر طبعة كاملة للمؤلف الذى مازال اغلب ابوابه مخطوطا بعد وهو «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للادريسى الذى يعتبرون من أهم المؤلفات الجغرافية التى كتبت فى القرون الوسطى وأعظمها · وكما هو معلوم كان الادريسى قد كرس حياته لتأليف هذا المصنف فى بلاط الملك روجار النورماندى ·

وقد تولى المعهد الايطالى للشرقين الادنى والاقصى فى روما تحقيق هذه الفكـرة بالاشتراك مـع بعض المتخصصين الشرقيين والغـربيين ومن بـين من سيساهمون فى هذا العمل القيم من الشرق العربى الاسلامى الاساتذة سامى دهان (للشام وفلسطين) وفـؤاد سيد (لليمن) ومقبول احمد (لبـلاد الهند) وحسين مؤنس للديار المصرية ·

وختاما فان المتشرف بالتحدث اليكم قد اقترح تأسيس متحف للتراث العربى الاسلامى فى صقلية يطلـق عليه اسم « متحف ميكيلى آمـارى للفن العربى الاسلامى » وكلى امل فى ان تتحقق هذه الفكرة فى القريب العاجل كما ان املى كبير فى ألا يضن علينا المتخصصون العـرب بجهودهم القيمة · وانى لاتوجه اليهم جميعا بان يولوا هذه الدراسات ما هى اهل له من عناية واهتمام ·

ولا ينبغى ان ننسى ان كل ما نصبو اليه من دراسات وتحقيقات لا يمكن ان يتم الا اذا اصبحت بين ايدينا النصوص الكاملة المتعلقة بتاريخ المغرب ـ الذى كانت صقلية جزءا لا يتجزأ منه · واقصد بهذه الاشارة امهات الكتب مثل « رياض النفوس » للمالكى (الذى قام الدكتور حسين مؤنس بنشر الجزء الاول منه فقط) وكتاب الخريدة لعماد الدين الاصفهانى الذى سيتـولى نشره ـ على ما علمت ـ صديقى الدكتور على عبد العظيم وكتاب « ترتيب المدارك » للقاضى عياض الذى اعلن الاستاذ ابراهيم شبوح بدمشق انه سيتولى نشره وكتاب « الذخيرة » الذى اقتصر ما نشر منـه على جـزء صغير من المخطوط و « كتاب الأموال » للداودى ـ الذى بلغنى ان العلامة الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب وأحد تلامذته سيقومان بنشره وترجمته الى الفرنسية ـ وكتاب « المجالس والمسايرات » للقاضى النعمان وغيرهـا من المصادر الفاطمية التى أشرت اليها فى بحثى عن المصادر العربية الجديدة فى تاريخ مسلمى صقلية والتى كانت مدار حديثى فى المحاضرات التى القيتها ههنا فى العام الماضى ·

وبعد ، فهذه هى المرة الرابعة التى أجىء فيها تونس الخضراء فى خلال عامين ولست اكتمكم أننى اذ مرت أشهر دون أن أرى بلدكم المضياف هذا ، أحسست بالحاجة الملحاح للعودة الى زيارته وزيارة أهاليه وللأسف الشديد لم أجد هذه المرة من بين أهل الأدب والاسرة التونسية المثقفة أديبا بارعا ومحققا نبيها : هو صديقنا الصميم وفقيدنا العزيز محمد فريد غازى يرحمه الله ·

فما الذي يدفعني الى الشاطىء المقابل للجزيرة التي أعيش واعمل فيها ، الى الأرض التي لا يفصلها البحر بل يجمعها ؟

ليس هذا الدافع مجرد الشوق الى رؤية الاخوان والاصدقاء الذين يشرفونني بمودتهم وحفاوتهم فحسب ، بل هو كذلك الحاجة الى البحث عن آثار الحضارة التي خلفها مغرب الاغالبة والفاطميين وبني كلب وبني زيري والاهتداء الى تلك الحضارة التي نقلوها الى جزيرتنا ما يقرب من ثلاثة قرون ، أي من القرن التاسع الميلادي الى منتصف القرن الحادي عشر ، وهو أيضا الحاجة الى الوقوف في سوسة وصفاقس والقيروان والرقادة وفي أماكن متعددة أخرى من الارض التونسية لاستعادة ذكريات ذلك الجو الثقافي والروحي الذي عاش وعمل فيه أسد بن الفرات وابن رشيق وابن شرف القيرواني والمازري وغيرهم من أدباء المغرب وشعرائه وقضاته وفقهائه الذين كانوا يعتبرون صقلية وطنا لهم ·

وأذكر في هذا المقام ما قاله لي الصديق العزيز الاستاذ عثمان الكعاك ـ في اثناء تجوالنا معا في طرقات مازرا ومرسى على (Marsula) في صقلية خلال احدى زياراته المتعددة للجزيرة ـ التي لا يقل حبه لها عن جبي لتونس ـ من أنه اذ يعود الى تونس من احدى زياراته لصقلية يشعر بقابلية أكثر لفهم الكثير من وجوه الفن المغربي عامة وفن البناء خاصة من زمن الاغالبة والفاطميين

وعلى هذا الاساس نفسه أستطيع أن أقول انني اذ أعود من أحدى زياراتي للأقطار التونسية أجدني أكثر قابلية واستعدادا لازداد صلة بدروسي وابحاثي حول الثقافة في صقلية العربية ·

ان مثل هذه الزيارة تخلق في روحا جديدة واستعدادا لفهم قسم أكبر من مظاهر الحياة والتقاليد والعادات في صقلية الامس وربما في صقلية اليوم كذلك ·

ومادمنا في حديث الذكريات أود أن أضيف أن فوجا من شبان الدستور الجديد في تونس قد زاروا صقلية أخيرا يرافقهم السادة بوليلة وادريس وكان لي حظ مرافقتهم في زيارتهم لبعض الاماكن الاثرية في مدينة بالرمو ·

ولست بقادر على نسيان ما كان يبدو عليهم من الدهشة والتعجب ومن الغبطة كذلك عندما كنت أقارن لهم بين تعبير عربي مغربي واصطلاح دارج في صقلية مشتق من التعبير العربي أو أذكر لهم أن كثيرا من الاسماء الجغرافية قد بقي الى اليوم كما كان في العهد العربي وأن كثيرا من التقاليد والعادات لم يتغير عما كان عليه في زمن اسد بن الفرات وأن ابن رشيق قد توفي في

مزارا وأن ابن حمديس الصقلي كان يسمى صقلية « وطنى » وأن كنيسة بالرمو المسمـاة (S. Giovani digli Eremiti) التى حولها النورمنديون الى معبد مسيحى ـ لا يزال فيها محرابها الذى كان فى العهد الاسلامى .

كنت أود أن استرسل فى هذه الذكريات اللطيفة لولا خشيتى من الاطالة غير اننى أعدكم بان أعود اليكم بأسرع ما استطيع (وربما كان ذلك فى شهر اكتوبر أو نوفمبر القادمين) ومعى فـوج من طلبـة اللغة العربية والتاريخ الاسلامى وعلم الآثار لأننى اود ان يشاهدوا ههنا بقايا آثار الاغالبة والفاطميين وبنى زيـرى وأن يتملوا تلك الحضارة التى لا يـزال بعض آثارهـا قائما فى جزيرتهم ولا سيما فى بالرمو التى مدحهـا أبو عـلى حسن بن رشيق بقوله (من البسيط)

أخت المدينة فى اسم لا يشاركها
فيه سواهـا من البلدان فالتمس

وعظـم اللـه معنى لفظهـا قسما
قلد اذا شئت أهل العلم او فقس

والله ولى التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله

**امبرتو ريزيتانـو**
جامعة بالرمو

# الفــــــرح

**شعر : ملك عبد العزيز**

كمثل ماء النبــع إذ يفورْ
منبثقا وسط الحصى والصخور
مختلجا مكركـرا ضاحكـا
مندفعا مجلجلا في هديـر
يبعثـر الخضـرة أنـى سرى
ويرشق الدوح بنور الزهور
رذاذه الابيض كـانت لـه
في منكب التل ظلال ونورْ
ظل من الخضرة معشوشب
ومن سنا الزهر رفيف يمور

* * *

كمثل ماء النبــع إذ يفورْ
ينبثـــق الســـرور
من كوة في النفس مخبوءة
فجرها شيء خفـى صغيرْ
لعله ربتــة كف حنــونْ
لعله همسة قلب صديــق

لعله نبرة صوت حبيب
يرجفه شوق خفي عميق
لعله دعاء طفل غرير :
ماما،ويلوى الثوب كف صغير
أو بسمة بيضاء مخضلّة
بالحب،بالبذل بدفق الشعور .
لعله عطر خفي رهيفْ
من زهرة قطرها الربيع
ليمونة عذراء مخبوءة
من كنهها الاخضر حلم يضوع.



لعله ذكرى اليوم أثير
لعله لحظة نصر بهير
والفرحة الطفلة مبهورةٌ
تزقزق اللحن وتفشي العطور
يافرحتي تواثبي كالحبابْ
لاتعمقي لاتعمقي في الصدور
ان تعمقي يحز فيها الاسى
والشوق والتوق ولهف السعور

تراقصى تراقصى كـــالشعاع

على جناح الموج عند الاصيل

ورفرفى مثل الفراش الطليقْ

يمتلى شهد الزهر عطر الحقول.

* * *

هيا اجدلى في الدوح أرجوحةً

واعلى بها وسْط صفاء السماءْ

مورى وطيرى واخفقى في الفضاء

وعانقى الزرقة عُبى الضياء

* * *

مورى وطيرى واخلقى عالما

مورَّد الخدين غض الخيالْ

وبعثرى الالوان بين الدنى

ونضرى العيش بسر الجمال

لولاك مـا طـــال به خطونا

ولاشربنـا من يديه المحال .

ملك عبد العزيز

القـاهرة

# عجائب وشذوذات قابادو

**بقلم : زين العابدين السنوسي**

**محمود قابادو** نابغة الادب في تونس للقرن التاسع عشر ، ولكن هذا النبوغ لم يكن نبوغا عاديا ، بل كان شذوذا في عقله وفي سيرته وفي مداركه وفي حافظته . ثم انتهى الشذوذ الى هذاك الانتاج النابغ مع محافظته على مظاهر السذاجة في عموم تصرفاتها

هذا الشذوذ قد كان على أشده منذ الصغر . فلقد كان لا يقرأ لوحته أبدا ، لانه مقتنع بنفسه ان قد حفظ نصها من املاء المؤدب مباشرة..وبالفعل فانه حفظها وهو يكررها على المؤدب حالا دون تردد أو أي اشتباه او غلط . وانتهى به الأمر ان اصبح يستعصى عن كتابة لوحته ، لانه حفظ القرآن من مجرد سماع زملائه الطلبة يكررون على المؤدب ، فهو بذلك السماع قد حفظ القرآن وحفظ المتون . هو صغير جدا ، أصغر من جميع الاطفال زملائه ، وانتقل الى المدرسة ، فاذا به قد فهم النحو والصرف والبلاغة والبيان ، وهو ما زال صبيا دون الحلم .

وكان ابوه قد تنقل من مدينة **صفاقس** التي نزل فيها آله عندما ارتات اسبانيا توحيد المذهب والدين في أندلس . فارغمت المسلمين على التنصر ، ففروا زرافات الى المغرب والى افريقيا حيث نزل اكثرهم بالعاصمة والثغور الكبرى ثم توزعوا الى الاطراف التي اتى عليها الوباء العظيم لبضع سنوات ، فعمروها واسسوا المدن والصناعات الجديدة التي لم تكن في افريقيا مبذولة. وقد كان سكنى آباء **قابادو** عند هجرتهم في مدينة صفاقس حيث توالدوا وصاهروا الصفاقسيين ، بحيث كانت ام الشاعر **محمود قابادو** صفاقسية . وابوه هو المتنقل من صفاقس الى تونس ، وصناعته اذاك « الزنائدية » يعمل أزندة البندقيات تقدح النار في بارودها حتى ينطلق رصاصها وفي مدينة **تونس** ولد له هذا الولد الذي سيصبح أكبر شعراء تونس واستاذ الأداب العربية في معهد العلوم الحربية في بلدة **المحمدية** .

**ومحمود قابادو** قد ولد **بتونس** العاصمة سنة 1228هـ الموافقة 1812 ميلادية وكان من صغره غريبة انسانية لامه وابيه . فلما أرسل الى الكتاب ـ والكتاب هي المدرسة الابتدائية للتعليم الجبري ـ فاق جميع اقرانه حفظا للقرآن والمتون وقواعد العلوم.ثم بدأ المدارسة ، فاذا به يفوق جميع أساتذته، اذ أصبح يتكلم اللغة العربية الفصحى مع ان اساتذته انفسهم لا يلتزمون التزامه ولا يقدرون على هذا الانطباع الذي انطبع به الولد على تطبيق القواعد، فاللغة العربية لم تكن لهجتها قد انطبعت على ألسن هؤلاء الاساتذة الذين

يقرئون قواعدها السنين الطوال ، بينما هذا الولد ابن الزناد قد اصبح يتفيقه عليهم وينطلق لسانه باللهجة العربية ... وهو لم يبلغ الحلم بعد .

ثم فجاءة عاد الولد بليدا ، لا ينطلق لسانه بشيء ، ويجلس في حلقات الدرس كما يحضر كل بليد جاهل متاخر ، واغرب من ذلك انه أصبح لا يحفظ شيئا من متون العلم ولا يكاد يفهم ما يشرحونه له ، بل قد ظهر انه لا يحفظ القرآن نفسه ويكسر صواب الآيات التي تعرض له ، كما انه لا يحسن اعراب ما يقرأه أو يسرده . فضاق به اساتذته وجاء مؤدبه يعجب لهذا التبدل الذي انسلب فيه الولد بعد ان اشرف على عمر الترجل . فهو اليوم في الثالثة عشرة من عمره ، في العمر الذي يبدأ فيه غيره الفهم ، واذا هو قد فقد الحافظة والفهم ، واصبح بليدا .

حدثنا اعقابه عن هاته الغـريبة ، التي بقي خبرها في العائلة يقصه الامهات والآباء على الابناء كرامة لهذا الجد الغريب النابه ، بعد ان مضى عليها اكثر من قرن من الـزمن ، اذ سمعتها منهم حـول سنة 1932 وقيدتهـا في مذكراتي لذلك العهد ، وما زال من معارفنا من احفاده الشيخ محمود قابادو الكومندان لفرقة المشاة للجيش التونسي ، وارتقى بعدها الى صف المعاونين الملكيين ثم احيل الآن على التقاعد ، مع محافظته على هيأته وكمالاته وناموسه، كما يعتز الانسان بانتسابه للجندية النظامية التي تاسست عـلى عهد جـده الشيخ محمود ، وكان جده شاعرنا محمود قابادو استاذ الآداب العربية في معهد العلوم الحربية (البوليتيكنيك) وهي اول مدرسة عليا قـد تاسست على آخـر نظام من الاسلوب الاروبي وجلب لها اساتـذة فنيـون من الايطاليين والفرنسيين وغيرهم من ذوي الاختصاص .

قلنا ان اخبار الشيخ محمود قابادو ـ شاعر الجزالة في القرن المـاضي بتونس ـ قد بقيت تدوي غرائبها على الألسن في تلك الاوساط ، كما تتناقل الكرامات والمناقب واحاديث المعجزات من أفذاذ البشرية المكرمين .

قالوا : ما كاد يبلغ الصبي عهد المراهقة حتى اخذ عقله في التقهقر ، فأصبح عنـوان التخلف والبلاهة بعد ان كان مظهر الذكاء والنبوغ . وتـألم الأب لحال ابنه فجاء به يعنفه امام امه واخوته بعد ان اقفل حانوته في سوق الزنائدية الذي كان قبالة جامع الزيتونة ، هابطا بالمـارة نحو باب البحر من العاصمة التونسية . وكان الولد منكس الرأس لا ينبس ببنت شفة ، وكانما قد بقي له شيء من الادراك للمسؤولية وتأنيب الضمير . ثم دخل الولد الى بيت نومه وخنس فيها . لا يظهر ، ونادوه الى العشاء فلم يستجب . وقـال الأب : اتركوه لنفسه لعله يصلح بالجـوع اكثر مما عمل فيه الشبع ! ومنع أمـه من ان تذهب اليه لتأتي به للعشاء ... وما كـادت العـائلة تنتهي من عشائها حتى سمعوا صوت الشاب يرتفع من بيته قويا بينا أنيا رنانا بقراءة

القرآن • فتطلع الأب ليرى هذا الحزم الذى عاود ابنه • فاذا هم يعجبون أن البيت لم تنر فيه شمعته ، والظلام سائد ، والشاب يقرأ القرآن كأحسن الحفاظ •

حار الأب ، فان ولده كان قد غاب عن ذاكرته كل ما كان يحفظه ، ونسى السور الصغر التى يصلى بها الناس جميعا •• فكيف يبدأ الآن بقراءة السور الطوال وهو فى الظلام ؟ وتقدم الأب بالقنديل الى البيت الذى يصدر منه صوت الولد ، والأم تتبع زوجها فى دهشة ، بين الفرح والاستغراب • وفى الحقيقة فانها لم تكد تصدق ان ابنها الذكى النابه قد نسى كل شىء من محفوظاته ، وانه اصبح ابله لا يفيد ولا يرجى لخير •

ولكن الدهشة كانت أعظم عندما دخلوا البيت فلم تقع أعينهم على الولد، وقلبوا عيونهم ، ثم اشارت الأم الى الصرة الكبيرة فى وسط الفراش • وقرب الوالد الى الفراش••والقرآن يجلجل طلقا ، بين الاحرف ، يكاد يكون تجويدا، فى أناة وحسن أداء ••• خارجاً من الصرة وسط الفراش !

لم يجسر الاب ان يحرك الصرة ، وعينا الام تخزر فى دهشة الماخوذ•• فقد رأوا كل شىء •• فالولد فى سراويله ••• دخل داخل سراويلاته الفضفاضة وقد أوكأ على نفسه تكة الحزام من داخل ، وهو يجلجل كتابه على ظهر قلب نقيا سليماً •

فلم يجسر الأب على شىء ••• وارتمت الأم على المقعد تجاه الفراش فاغرة الفم لا تنبس ببنت شفة ، وزوجها لا يتحرك مندهشا ينظر العجب ••• والقرآن يتلى بلا تعثر على طرف الثمام ••• والتفت الاب للأم ثم جلس اليها وقد أطفأ القنديل ••• القرآن يتتالى بصوت ابنهما من الصرة ، والاب لا يقدر ان يكف دموعه ولا هو قادر على ان يقول شيئا يخفف به عن زوجته •• ولا يجسر أحد ان يحرك الصرة أمامهما الا ان يبتهلا الى الله فى قلبيهما وينتظرا النهاية •• حتى طلع الفجر وتم ختم آخر سورة من القرآن بآخر حرف وبالمعوذة والبسملة • ثم سكت الصوت فجاة ••• ونظرا الى بعضهما وانتظرا ان يقوم الولد ••• ثم تجاسر الاب فتلمس الولد فى الصرة فوجده نائما فيها لا يتحرك ، فلم يجسر على ايقاظه وانسلا الى بيتهما ، والفرح أغلب عليهما ، ثم ناما مجهدين ، فلما أفاقا ذهبا الى الصرة ، واذا بالولد يحاول ان يفتحها على نفسه ولا يهتدى ، فحلاها عليه وخرج منها ، والعرق يتصبب على وجهه ••• ولكنهما وجداه أبله كما عنفه البارحة ابوه ، حتى القرآن الذى بات يتلوه قد اصبح منه سليما •

فما أغرب هذا الحال ••• وما اعظم دهشتهما لهاته الحافظة التى اصبحا يؤمنان بقوتها ولا يصدقها فيها الناس ما دام الولد لا يسرد شيئا من حفظه

وتوالت الايام ولم يفتح الله بشىء مما انغلق على مدارك الصبى ، الذى اخذ يدخل عهد الشباب وهو يزداد تقدما فى بحرانه الغريب • اذ لم يقف عند حد النسيان بل زاد شيئا جديدا موحشا • فقد نسى عوائد الحضارة ونسى

بديهيات الحياة اليومية فضلا عن آداب السلوك • فلم يعد يحسن شيئا مما يحسنه الناس فى المعاملة وفى الظهور أمام الناس • وخرج الى الطريق العام حافى القدمين حاسر الرأس ، يشغب على الناس بتذكيرهم « بالله الله ••• الله ••• » بعد أن كان من احسن الناس قيافة ومحافظة على ناموس الطالب للعلم •

وانتهى به الحال الى التخلف عن الرجوع الى دار سكناهم فى مواعيد الاكل والشرب ، وربما تخلف عن الدخول لمنام الليل •• حتى اختفى تماما•• اذ هام على وجهه متسوحا فى ملكوت الله • وقد يئس أبوه **محمد بن محمد بن عمر قابادو** •

وبينما **محمد قابادو** يعمل فى حانوته بالزنائدية اذ جاءه عميل جديد موصى اليه من بلدة طرابلس الغرب ، فاراه ما عنده من صنعه بين الفرد والزوج من الأسلحة الخفيفة والمكحلة والمقرون من الاسلحة النارية للحرب والصيد (اذ لم يخترع المسدس بعد فى ذلك العصر) وتبين بالفعل ان ولده فى طرابلس وانه فى منعة وصحة جيدة وانه قد تتلمذ الى الشيخ المدنى الذى لقبه هناك يؤسس**الطريقةالمدنية**واصبحمنمريديه وملازميه ومنحاملىأسراره، وحدثه عن ظهوره هناك ، كعالم وأديب ، ويتكلم الكلام الشريف على مذهب القوم والتفاسير النفسية والروحانية ••• ولم يكد يتأكد من ثبات صاحبه حتى طار بالبشارة الى **ام محمود** ، فقد فتح الله على ابنهما وعادله نبوغه ! وسيرجع **ابو محمود** اليها ليلامع ضيفه الذى بشره ، وستستمع لحديثه على أبنها ، فأعدت العشاء وطيبته بكل ما لديها من خبرة وفرحة ، وهى مستبشرة بان الله قد صدق يقينها بكفاءة ابنها وانه سيعود اليها معافى مكرما •

وبالفعل فان ابنها **محمود قابادو** قد عاد **لتونس** سنة 1835 فى الثالثة والعشرين من عمره ناضج الشباب رصين الاناة بين الفضل ، ولم يكد يرجع للجامع ليتابع دروسه على كبار الاساتذة المختصين حتى رشحه العلامة الشيخ **احمد بن الطاهر** لان يتولى تعليم ابن الوزير السابق للحرب ، المرحوم **سليمان كاهية** ، صهر العائلة المالكة •

ولم يبق فى **تونس** غير ثلاث سنوات حيث ظهر بافكار سياسيةشديدة الاثر ، وخرج اثرها على وجهه مبتعدا ، فركب الى رومة وهو واجف الفؤاد ينشد قصيدته :

أسمعت يوم البين خفق فؤادي؟ ام كنت مشغولا بصوت الحادى !

وهى رحلة قد اثرت فى نفسه تأثيرا كبيرا نراه يذكرها فى قصائده بعد رجوعه ، بمثل قوله :

رعى الله أياما لنا وليـاليـا سعينا بها للمجد والدهر مسعد
تطارحنى الآمـال وهى مطيعـة وتغضى جفون النائبات واسهـد
ليالى لم اذمم بهـا شقة النـوى ولولا اغترابى كنت أثنى واحمد
قضيت بارض الروم منها مآربـا وعدت لارض كان لى فيها مولد
وما عن قلى وليت عنها ركائبى ولكنها الاوطان للحـر أعـــود
طويت لهـا البيداء بين مهامـه ويممت لج البحر والبحر مزبد

فهو معتز باقامته فى **ايطاليا** ، ويذكرها بالحمد ولولا اشواقه الوطنية ما كان يرجع عنها الى تـونس ونجده يتحدث عن حسن القبول الذى لقيه برومة واقتبال عظمائها له :

لقيت عظام **الروم** فى ارض **قيصر** ولكنه الاكسير ان حسبوا تبرا

ويمكننا ان نرى الكثير من تفاصيل رحلته لولا خوف الاطالة ٠ وحسبنا ان نعرف انه قد انتقل الى **اسطنبول** حيث التقى بالـوزراء التونسيين الذين أكدوا عليه الرجوع ، فرجع **لتونس** آمنا مطمئنا معززا مكرما ليتولى تدريس الآداب العربية فى اول مدرسة عليا قد فتحت فى **تونس** على النظم الاوروبية (البوليتيكنيك فى بلدة **المحمدية**) واستجلب لها مديرهـا من عظماء الاعـلام الايطالية وهو الاميرال **كالى قارس** وأوجبوا تعليم اللغات الاجنبية التى يتوفر فيها كتب المراجعة لفنون الحرب والهندسة والمساحة والحسابيات ، وغيرها من الشعب الضرورية لضباط أركان الحـرب ٠ وصاحبنا **قابادو** ــ الشاعر ــ قد اصبح استاذ آدابها ومهذب الكتب التى تترجم اليها فى تلك العلوم العليا ٠

هذا وقد اقتصرنا على غريبة واحدة من غرائب عقليته فى صباه ، وله فى كتب من زار تونس من النصارى وغيرهم عجائب قد خلدوهـا فى كتبهم التي طبعوها هناك ٠

**ز٠ السنوسى**

# أغنيــة القيــروان

**شعـر : جعفـر مـاجد**

سَلُوا التَّارِيخَ عَـنْ أَمْسِي    وَعِنْدِي الْيَوْمَ مَا عِنْدِي
لَقَـدْ أَشْرَقْتُ كَالشَّمْسِ    بِنُـورِ الْحُسْنِ وَالْمَجْـدِ

* * *

فَلِي فِي الْفَخْرِ إِكْلِيـلُ    وَلِي فِي الْحُسْنِ آيَاتُ
فَكَـمْ لِلنَّـاسِ تَهْلِيـلُ    وَكَـمْ لِلنَّـاسِ آهَـاتُ
وَلِـي وَحْـيٌ وَتَنْزِيـلُ    أَلاَ كَمْ هِجْتُ مِنْ حِسِّ

* * *

يَذُوبُ النُّورُ فِي مَـائِي    إِذَا حَيَّى الضُّحَى الْوَادِي
فَيَجْرِي عَبْـرَ أَرْجَائِي    وَيَرْوِي غُلَّـةَ الصَّادِي
(زَرُودٌ) (1) سَاحِرُ الرَّائِي    لَطِيفُ الْبَوْحِ وَالْهَمْسِ

* * *

تَرَامَى ظِـلُّ أَشْجَارِي    عَلَى أَرْضٍ مِنَ التِّبْرِ
وَفِي الْأَجْـوَاءِ أَنْـوَارِي    تَرُشُّ الْكَوْنَ مِنْ عِطْرِي
لَعَمْـرِي إِنَّ سُمَّـارِي    نُجُـومٌ فِي سَمَا الْأُنْسِ

* * *

زُلاَلُ (الْبِرْكَةِ) (2) الْعَذْبُ    تَثَـنَّى تَحْتَ أَنْسَـامِي
فَفِيـهِ تَسْبَـحُ الشُّهْبُ    وَتَجْرِي فُلْكُ أَحْـلاَمِي
وَمَجْدِي الدَّهْـرَ لاَيَخْبُو    فَيَـوْمِـي مِثْلُـهُ أَمْسِـي

* * *

سَلُوا التَّارِيخَ عَنْ أَمْسِي    وَعِنْدِي الْيَوْمَ مَا عِنْدِي
لَقَـدْ أَشْرَقْتُ كَالشَّمْسِ    بِنُورِ الْحُسْنِ وَالْمَجْـدِ

جعفر ماجد
القيروان في 1961/7/5

(1) واد زرود يسقي سهول القيروان
(2) بركة الاغالبة

# التجربة اللغوية في شعر بدر شاكر السياب

**بقلم : الدكتور ابراهيم السامرائي**

ربما انكر الشيوخ من الأدباء على شباب اليوم أن يكون بينهم الشاعر المطبوع ، وقد يغلو بعضهم فيزعم ان جديد ناشئة اليوم لا يمت الى الأدب بسبب ، ولعلهم يقولون : ما ترك الأول للآخر ٠

وماذا يضير الشباب وهم ماضون يؤكدون جديدهم ، ويقررون أصوله ، ويرسون قواعده ، فكان أن طلع فيهم أعلام سطع لهم نجم لامع ، وكان من هؤلاء بدر شاكر السياب الذى غنى الشعر منذ عشرين سنة ، فكانت « ازهاره الذابلة » (1) مادة شعرية تشير الى أدب جديد لا بد أن يفرض نفسه فى تاريخ ادبنا الحديث ٠ ربما لا يعرف الكثيرون هذه « الازهار الذابلة » هذه البواكير التى وصفها صاحبها بالذبول وهى خضلة تعمر بالحياة ٠ فأنت تقرأ هذه الازهار فيتمثل لعينيك شعراء الغزل القديم ، فقد يمر بخاطرك جميل صاحب بثينة ، او العباس بن الاحنف او فلان او فلان من الذين ذهبوا فى الغزل مذهبا عفيفا ، ولا تعدم أن تجد فى هذه البواكير ما يعيد اليك نفسا من انفاس ابن ابى ربيعة فى عبثه وهواه ٠ وهكذا فغرض الشاعر فى « ازهاره الذابلة » هو الغزل . ومعانيه هى معانى الغزل فى الوانه العاطفية المختلفة ، فهو لا يكلفك عناء فى فهم عبارته وارسال الكلمة على نحو ما يفعل ناشئة اليوم فى استخدام الكلمة العربية بحيث يخيل اليك أن نفرا منهم يجردون الكلمة عن أصولها ، ويبعدونها عن ظلالها المألوفة فتستقر فى حيز جديد لم يألفه ذوو الحفاظ من الشيوخ ٠ ستقول : اذا أين جديد صاحبنا السياب فى « ازهاره الذابلة » ؟ أما أنا فأقول لك ان مادته جديدة ، وان جمهرة الفاظه تومىء الى أن أختيارها حسن ،وانه توسع فى المجاز والاستعارة توسعا أدخل الجدة على الدلالة اللغوية ، فأنت تفتح مجموعته هذه فتقرأ قوله :

**ديوان شعر ملؤه غزل     بين العذارى بات ينتقل**
**أنفاسى الحرى تهيم على     صفحاته والحب والأمل**
**وستلتقى أنفاسهن بها     وتحوم فى جنباته القبل (2)**

ألا ترى أن هذا الموزون المقفى قد اشتمل على « هيام الانفاس » و « حومان القبل » وذلك من المجازات الجديدة التى اخذ بها السياب ٠ ثم يقول (3) :

(1) أزهار ذابلة ، مصر مطبعة الكرنك 1947

(2) أزهار ذابلة ص 5 ـ (3) المجموعة نفسها ص 23

ديـوان شعـر رب عـذراء اذكـرتهـا بحبيبهـا النـائى
فتحسست شفـة مقبلـة وشتيت انفـاس وأصـداء
فطـوتـك فـوق نهـودهـا بيـد واسترسلت فـى شبـه اغفـاء

* * *

يـاليتنـى اصبحت ديـوانى أختـال مـن صـدر الى ثـان
قـد بـت مـن حسد أقـول لـه : يـاليـت مـن تهـواك تهـوانـى
ألـك الكـؤوس ولى ثمالتهـا ولـك الخلـود واننـى فـان

وبعد فهذا نمط من شعر السياب فى الحب ، وهذا اللون يمثل المرحلة الاولى من فن السياب ، تلك المرحلة التى تتسم بالوضوح والسهولة ، فأنت تقرأ هذه النصوص فتقف منها موقف المطمئن للدلالات والمعانى التى تشير اليها • وهكذا فغزل الشاعر وان كان يقصد الى العفة ، فانه لابـد صائر الى دنيا الناس فهو يذكر الشفاه والقبل ، وربما تعدى ذلك الى النهود التى تحضر فى كثير من قصائده ، ثم انك تستمتع باستعمال الشاعر الذى يفصح عن فهم جديد فى المجاز اللغوى فهو يقول مثلا فى القصيدة نفسها :

واللـيـل والانسام عـاطـرة والـزورق الغـافى المجاذيـف

وغفوة المجذاف شيء من هذا الجديد فى الاستعمال فى قصيدة لا يتنكر مجموعها للمعروف من الدلالات ، وحديث الغفوة يتكرر فى قصائد الشاعر ، فهو يقول مثلا فى قصيدة يسميها نشيد اللقاء :

ان سجـا لـيـل ، واغفى فى ذراع الريـح غـاب

والاغفاء فى هذه المرة للغاب يستسلم فى ذراع الريح ، وليس من شك أن هذه الطريقة فى التعبير جديدة فى هذه اللغة الظريفة المونقة ، ولك ان تفتح مجموعته هذه من أى مكان شئت ، لتبصر هذا اللون الجديد فها هو الشاعر يتحدث عن يوم عابس فيقول : (4)

الـريـح تجـأر بالشكـاة الى الجـداول والنخيل
والسحب واهيـة النقـاب تحف بالصحـو الجميـل
تلقى عـلى الغـاب الكئيب عبوسة الضجر الملـول
والشمس كالأمـل البعيد يذوب فى الشجن الهزيل

............................................................

ربـاه والعشرون من عمـرى تسيـر الى الـذبـول
سودا مكفنـة الأهلـة بـالتنهـد والعـويـل
كانت تمـر جـريحـة الأيـام ، رعنـاء الخيـول
ظلمـاء مطفـأة السراج ، كأنهـا بعض الطلـول

---

(4) المجموعة ص 38

وبعد فهذا أسلوب حافل بالجديد من الاستعمال الذى لاتنكره اللغة ما دامت قائمة على المجاز والتوسع ، وماذا يقول النقاد المتشددون واللغويون المتحذلقون؟ أينكرون ذلك ؟ وقد غبر على الشعر العربى قوم ذهبوا الى مثل ما ذهب اليه ناشئة اليوم ، فتقبلت جديدهم الاذواق فكان له أن استقر فى نماذج الأدب الأصيل . وربما كان جديد السياب غريبا على الأسماع حين انطلق بـه منذ ما يقرب من عشرين عاما أما اليوم فأنت تقرؤه ويقرؤه النفر المتشدد دون أن يكون له مثل ما كان له بالأمس ، وهكذا تقرأ قصيدته « امنيات » (5) فتحسب ان هذا الجديد قد شارك السياب فيه غير واحد من أدباء الشباب :

**أمنيـــات دغـــدغـت حسى بـاغمـــاء طـــروب**
**وانتشاء فـــاتـــر الآمـــاد ، نعســان الطيـــوب**
**الأريـــج الـدافـىء المغنـاج ، منغـــوم الهبـــوب**
**اسكـرتـه الليلـة القمـراء فـى سهـل رطيب**

غير أن شيئا واحدا ربما انفرد فيه السياب عن كثير من اقرانه ، ذلك هو اخلاصه للبيئة التى نشأ فيها ، تلك البيئة التى تستقر فى الريف البصرى الحافلة بالماء والشجر ، ولا أريد أن اغفل ذكر « سيد الشجر » الذى قال فيه المعـرى :

**وردنـا مـاء دجلـة خير مـاء      وزرنـا سيد الشجـر النخيلا**

فللنخيل فى أدب السياب مكان خاص ، وفى غاب النخيل ميدان هوى ، وموطن ايحاء يقف منه السياب مسحورا معجبا مزهوا ، وما أظن أن الاستاذ عباس العزاوى قد فطن الى هذه الناحية فى بحثه عن النخل فى الأدب العربى، والسياب يصف هذه الطبيعة البصرية فلا يدع من ذلك شيئا ، فهو يـذكر الشط والمقصود « شط العرب » من أنهار البصرة الكبيرة ، ثم يـذكر المد والجزر والشراع فهو يقول : (6)

**أى غـــاب ساهـــم الافيـــاء بســـام النخيـــل**
**نـــائـم فـــى الضفـة السكـرى عـلى حلـم جميـل**

انظر كيف يوحى غاب النخيل للشاعر ، فهو ساهم الافياء ، نائم فى الضفة السكرى على حلم جميل ، ويبلغ تعلق السياب بهذه النخلة المباركة فيأوى الى كوخه الذى يعمره من جذوع النخيل فيقول : (7)

**مأواى كوخ من جـذوع نخيل      فى غـابـة لفـاء بين التـلال**

وهو لا ينفك يحدثنا عن غابه هذا فيقول : (8)

(5) المجموعة ص 50
(6) المجموعة ص 11 ـ (7) المجموعة ص 14 ـ (8) المجموعة ص 20 ـ

رب غــاب كبلـت أنسامـه شـم التــلال
فى ربـــوع الـريف مكتـــوم الفحى بين الظـلال
شاحب الأيـام والساعـات ، مهـدوم الـدوالى

وكيف لا يذكر « الغاب » وهو موطن هواه ، وموئل الذكرى :

والجوسق المستوحد المهجور فى غـاب النخيل (9)
تـأوى اليـه الغـادة السمـراء لاهبــة الغليـل

..........................................................................

والغـاب ساعتى الحبيبة .. مـن ظـلال عقـرباهـا
كـم أنبأنى أن طـرفى بعـد حـين قـد يـراهــا
واليـوم يسقى مـدك العـاتى أواخـر كـل جـزر

وهكذا يستكمل مواد الطبيعة البصرية فى مدها وجزرها فيقف من ذلك وقفـات مختلفة بين اخلاد فيها وهيام بها تارة ، وبين حيرة وقلق تارة أخرى وهكذا يقول : (10)

أنـا حـائـــر متـوجف قلـق كالظـل بـين جـوانب البحـر
المـــد قـــربنى الى شبحـى والآن تبعـدنـى يـد الجـزر
وأنـا الضيـاء تخيفنى دجـنن واخاف أن سأضيع فى الفجـر

ولعل من هيامه بهذه المواد أنه يقول : انه قبس هواه فى ظلال النخيل وما أظن أن شاعـرا قد خلد النخيل وهـام به عـلى نحو ما ذهب اليه السياب فهو يقـول : (11)

ويـا شاعـرا علمتـه النخيل وحسناؤهـن الهـوى والغـزل
أمازلت حيران فـوق الضفاف شجيـا تـنادى فتـــاة الجبـل
اذا المـــد وافى تبعت الجـرار بعينـين تستغفـلان المقــل

ولم تتنكر هذه الأزهـار الذابلة لكثير من مـواد لغوية شاعت فى الأدب القديم ، فلعلك تستغرب أن تجد فى لغـة السياب مـادة الجون والجـون من كلمات الاضداد فهى تطلق على الأسود والابيض وان كان صاحبنا لا يلمح فيها غير وجهها القاتم ، وهى ع لى كل حال من مواد الأدب القديم ، فهو يقول: (12)

---

(9) المجموعـة ص 34
(10) المجموعة ص 54 ــ (11) المجموعة ص 92 ــ (12) المجموعة ص 14 ــ

هاتان عيناها يكاد الحنين يذكى سراجيه بتلك العيون
الدهر ينسى فيهما كل حين أعوامه الجذلى وبعض القرون
ان شاءتا أن تمنحاك الربيع فينان ينـدى فى ليالى الشتاء
عاد الهزيع الجون بعد الهزيع روضا تحليه الزهور الوضاء

وهو يستعملها فى قصيدة أخرى ويقول : (13)

كان لى عند النوى ثار وقد ادركت ثارى
وانجلى ليل الشتاء الجون عن نور ونار

فالسياب يقتنص الكلمة من الأدب القديم لأنه يراها اداة صالحة ، ومادة موحية معبرة . ومثل هذا استعماله « الاصغرين » والأصغران من مثنيات اللغة التقليدية مثل : الجديدان والعصران والنيران ، ويطلق الأصغران على القلب واللسان ، فقد جاء « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » ، اما السياب فيقول : (14)

اذا كنت منك اقتبست النشيد فمن أصغرى اقتبست الشعل

ويرجع للكلمة فى القصيدة نفسها فيقول :

أمن أصغريه استفاض النشيد اليها الى الذئبة الضارية

وقد اعجب الشاعر بمادة « انثال » وصورها المشتقة اعجابا غلب عليه فجاءت المادة فى كثير من مقطوعاته ، والشعراء يعشقون الفاظهم فيخضعون لها ، واستعمال هذه المادة على هذا النحو من الكثرة يستدعى النظر ، فالمادة تشير الى نوع خاص من الحركة ربما كان لها فى احساس الشاعر صوت وحركة لا يبدوان على ما نعهد ، فهو يقول : (15)

ذلك النهر الذى أدنيت متى وهو ناء
لاح لى ينثال عذبا من ينابيع الغناء

وهو يقول فى القصيدة نفسها :

أسمعينى صوتك المطراب تنثال الأمانى

ولا بد أن نعرض لهذه المادة فى النصوص لنتبين طبيعة الحركة والصوت فيها . يقول الشاعر : (16)

وانثال من سهرى على سهرى ينبوعك المتثائب الرطب

ويقول ايضا : (17)

---

(13) المجموعة ص 17
(14) المجموعة ص 92 ـ (15) المجموعة ص 22 ـ (16) المجموعة ص 55 ـ
(17) المجموعة ص 58

والجدولان انثيال ليس توقفه في لجة الشاطئ المغمور لقاء

وهو يقول في القصيدة نفسها :

والجدولان انثيالان استحثهما روحان: راض بما يلقى ومستاء

والسياب جرىء على عادة الناشئة في اشتقاق الصيغ فلا يبالي ا نكان الذي يقوله معروفا مألوفا أم جديدا لا تقره اللغة الفصيحة ، وقد يكون ذلك ارضاء للوزن الذي اخذ به ولم يتنكر له في جميع قصائد هذه المجموعة • ومن ذلك استعماله اسم المفعول من الفعل « خفى » المضعف ، وتضعيف هذا الفعل غير معروف ولعله نقله من العامي الدارج فظنه فصيحا ، فهو يقول : (I8)

يابنانا طاهرا يمتد نحوي بالسلام
نابض الهزات بالشوق المخفى والغرام

ويستعمل الشاعر لفظة « الكوخ » غير مرة ، ولكنها اتت في بيت من ابياته مؤنثة على « كوخة » ، وربما كان ذلك سيرا مع الوزن الذي اضطره الى تأنيث لم يتبعه الا في هذا البيت ، فهو يقول : (I9)

الكوخة القفراء عن كثب تلقى كآبتها على النهر
والدوحة اللفاء رنحها ان الربيع يهم بالسفر

وقد عقب على الكوخة القفراء بالدوحة اللفاء فتم له بذلك الانسجام • وتضطره القافية أن ينال الكلمة بشيء من التغيير كما في قوله :

واليوم بين ازاهر الدفل والريح ترعشهن بالقبل

ألا ترى ان « القبل » جعلته يعدل عن «الدفلي» الشجر المعروف الى «الدفل»! وهو لا يكترث بالسطور من قواعد اللغة ، فاذا قرأت له : (20)

يا نوم كل عوالي حجب ولو التقيتك ذابت الحجب

فقد استعمل الفعل القاصر (التقى) على صورة غير القاصر ، وقد التزم بهذا الاستعمال غير مرة •

وربما تأثر السياب بالدلالة العامية للكلمة، ومعلوم ان بين الدلالات العامية ما يخالف الفصيح ، فقد تطلق الكلمة الفصيحة لمعنى غير معناها في اللسان الدارج ، ومن ذلك استعماله « حاش » في مفهومه العامي العراقي ذلك ان الفعل يعنى « قطف » في الاستعمال العامي ، كأن يقال « حاش الفلاح الثمر » اما استعمالها في اللغة الفصيحة فشيء آخر ، فيقولون مثلا « حاش الصيد » بمعنى جاءه من حواليه ليصرفه الى الحبالة • والسياب يقول : (2I)

وما تنطف الاغصن الباكيات على أغصن حاشهن الردى

وبعد فهذه المامه قصيرة بشعر السياب في « ازهاره الذابلة » لابد أن يعقبها نظر طويل في مجموعته الكبيرة « انشودة المطر » •

(I8) المجموعة ص 20 ــ (I9) المجموعة ص 26 ــ (20) المجموعة ص 55
(2I) المجموعة ص 86

# .... والتقينـــــــا

**شعـر : عبد المجيد بن جـدو**

هـــو :
رُبَّ شَوْقٍ يهيجُ قَلْبَ الْحَادِي
أَنْتِ أَنْكَرْتِ صَبْوَتِي وَوِدَادِي
فَسَلِي نَظْرَتِي يُجِبْكِ فُؤَادِي
أَيُّ شَيْءٍ ......
تُرَى يُخَبِّئُه الْغَيْبُ
وَيُخْفِي الزَّمَانُ فِي آمَادِي
ضَاعَ عَنِّي صِبَاكِ
فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
وَوَلَّى بِغُصْنِكِ الْمَيَّاد
حيثُ كنتِ الشَّذَى
لدى زَهْرَةِ الرَّوْضِ
وكنتِ الهَوَى بقلبي يُنَادي
وَيُغَنِّي ....
انـــشودَةَ الـــحبِّ
سكـــرانـــا ــ
على مسمعي
ويُذْكِي وِدَادِي
هـــي :
كُفَّ لاَ تَبْـتَـئِسْ
هـــو :
فَكَـــمْ انا أَشْـقَى
هـــي :
أَنْتَ لَمْ تُذْلِلِ الْقُوَى في عِنَادي
هـــو :
أَنْتِ أُنْثَى
هـــي :
وهل لِأُنْثَى امْتِنَاعُ
لَوْ أَرَدْتَ الْمَدَى ملكتَ قِيَادِي
هـــو :
أَنَـــا أَحْبَـــبْتُ
هـــي :
غَيْرَ أَنَّكَ لاَهٍ عَنْ غَرَامِي
هـــو :
... وَطَاعَتِي وَانْقِيَادِي
هـــي :
أَنْتَ أَسْرَفْتَ...

فِي الْخِيَانَةِ قَبْلاً

**هــو :**

وَجَهِلْتَ الْهَوَى

**هــى :**

وَكُنْتَ مُرَادِي

**هــو :**

أَنَا يَا مُنْيَتِي

وَيَا أُخْتَ رُوحِي

ضَاعَ مِنْ وَجْدِيَ

الْبَعِيدِ رَشَادِي

**هــى :**

أَنْتَ لَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى.. فَافْتَرَقْنَا

أَنْتَ أَخْلَفْتَ فِي الْهَوَى مِيعَادِي

**هــو :**

أَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُحِبُّكَ مِثْلِي

كَأْسُهُ أُتْرِعَتْ وَقَلْبُهُ صَادِ

**هو (لنفسه) :**

عَلَّلَتْنِي بِوَصْلِهَا

غَيْرَ أَنِّي ...

لَمْ يَكُنْ وَصْلُهَا ...

وَحَسْبُ ..

مُــرَادِي

**هــى :**

لاَ تَكُنْ يَائِسًا

فَمَا زِلْتُ أَهْوَاكَ

**هــو :**

وَهَلْ يَجْمَعُ الْحَبِيبَيْنِ نَادِ

فَأُصَــلِّي

لِحُسْنِكِ السَّاحِرِ الْقَاضِي

بِسُقْمِي وَلَوْعَتِي وَسُهَادِي

**هــى :**

أَلْفَ لَبَّيْكَ يَا حَبِيبِي

وَلَكِــنْ ...

ضَــاعَ مِنِّــي الصِّــبَا

وَعَهْدُ التَّصَابِي

**هــو :**

ضَاعَ مِنْكِ الصِّبَا

حُرِمْتُ شَذَاهُ

لَمْ يَضِعْ مِنْكِ

بَعْــدُ .

غَــضُّ الشَّــبَابِ

أَتْرِعِي كَأْسَهُ .
مِنَ الْخَمْرِ
كَـيْـلاً .
تَفْرَغَ الْكَأْس
مِنْ هَوًى وَشَرَاب
هــي :
إِنَّمَا الْـعَيْشُ
هــو :
(وَالْهَــوَى
هــي :
عَبْقَرِيٌّ ...)
هــو :
..أَنْتِ أَفْرَغْتِ...
مِـنْـهُـمَا
أَكْـوَابِي
هــي :
أَنْتَ أَوْحَشْتَ
بِالَّذِي كُنْتَ تَأْتِيهِ
فُؤَادِي . لَمْ يَدْرِ قَلْبُكَ مَا بِي
هــو :
لَمْ أَخُنْ ...

هــي :
يَعْلَمُ الإِلَهُ ...
هــو :
...ضَـمِيرِي..
أَنْتِ أَوَّلْتِ ...
فِي الْهَوَى أَسْبَابِي
أَنْـتِ تَـدْرِينَ
مَا هَوَايَ ...
وَقَـلْبِي...؟
وَهُـيَامِي ...
وَصَبْوَتِي ...
وَعَذَابِي ...
وَجُنُونِي ...
وَوَحْدَتِي ...
وَغَـرَامِي
وَسُهُومِي ...
وَدَمْعَتِي ...
وَاكْـتِـئَـابِي .
أَنْتِ تَخْشَيْنَ .
يَا أُمَيْمَةُ غَدْرِي

وَتَشُكِّينَ بِي ...
بِغَيْرِ حِسَابِ
أَنْتِ عَلَّلْتِنِي
بِحُبِّكِ زُورًا
كَمْ أَمَانٍ
- تُزَوِّرِينَ -
كِذَابِ
هـي :
لاَ وَرَبِّي
بَلْ أَنْتَ خُنْتَ عُهُودِي
وَطَوَى غَدْرُكَ الْمُشِينُ
كِتَابِي
هـو :
فَهَبِينِي أَسَأْتُ
هَلْ لِحَبِيبٍ ...؟
أَنْ يَصُدَّ غَرَامَهُ .
لِعِتَابٍ ...
هـو :
أَنْتِ حَوْلِي هُنَا ...؟
فَيَارُبَّ نَفْسٍ
أَنْتِ مَرَّغْتِ أَنْفَهَا فِي التُّرَابِ
لَيْسَتِ اللُّقْيَةُ الْحَبِيبَةُ

... ان يُسْقَى الْحَبِيبَانِ
مِنْ كُؤُوسِ الصَّابِ
كَيْفَ يَحْيَا الْمُحِبُّ
وَهْوَ قَتِيلٌ ...
فِي دُنَى النَّاسِ ...
دُونَ ظُفْرٍ وَنَابٍ .
أَنَا صَلَّيْتُ .
لاَ أَقُولُ سِوَى ذَلِكَ
هـي :
فِي غَيْرِ وُجْهَةِ الْمِحْرَابِ
هـو :
أَمْسِ كُنَّا لاَ نَلْتَقِي
هـي :
وَالْتَقَيْنَا
فِي دُنًى ...
مِنْ غَرَامِنَا ...
هـو :
وَشِعَابٍ ...
أَسْرِعِي الْخَطْوَ
فَالأَصِيلُ قَرِيبٌ
بَعْدَهُ اللَّيْلُ
هـي :
أَسْوَدُ الْجِلْبَابِ ...؟

إِنَّمَا اللَّـيْلُ .
بِالنَّدَامَى جَمِيلٌ
وَسَـعِيـدٌ .
هــو :
بِمُلْتَقَى الْأَحْبَابِ
أَنْشِـدِي لِلْحَـيَاةِ
لَـحْـنًا وَغَـنِّـي
وَامْـلَإِي
مِنْ عُقَارِهَـا
أَكْـوَابِـي
وَافْـتَرَقْـنَا
عَـلَى لِـقَـاءٍ ...
وَلَكِـنْ ...
أَيُّ لُقْـيَا
بِـلاَ مَكَانٍ
وَمَوْعِدْ
أَيُّ لُقْيَا
بلاَ زَمَانٍ يُسَمَّى
لَيْسَ بِالوَهْمِ
قَـلْـبِي الصَّـبُّ
يَسْـعَدْ
أَنَا أَخْشَى

لِقُرْبِكَ الْيَوْمَ
أَنْ يَـنْأَى
بِـعَـهْدٍ
قَطَـعْتَه
لِي
وَيَبْـعُدْ
لَكَ فِي خَاطِرِي
نَـوَاشِرُ بَـرْقٍ ...
شِيـم .
مِـنْ صَـبْوَةٍ .
الْمَحَـبَّة
يُرْعِـدْ
لَكَ فِي أَضْلُعِي
وَفَوْقَ فُؤَادِي ..
يَـا حَـبِيـبِي .
أَقَمْتُ عَرْشًا .
وَمَعْبَدْ
هِي كَـالْخَـمْرِ
فِي فُؤَادِي اسْتَقَرَّتْ
وَبِـرَأْسِي
كَنَـشْوَةِ الْخَـمْرِ تَصْعَـدْ

# بو دودة مـات

## قصة بقلم : محمد رشاد الحمزاوى

**فازت بجائزة « علي البلهوان » لهذه السنة**

**ـ 2 ـ**

وصل محمود مبكرا الى الجامع (1) فوجد جل الاطفال واقفين امام بابه يترقبون اوامر المؤدب الذى انهمك في اخراج الاعلام وتوزيعها على التلاميذ • فكان منها الاخضر والاصفر والاحمر فكتب على بعضها لا اله الا الله محمد رسول الله ونقش على الاخرى يا عبد القادر يا جيلاني • اما الباقى منها فلقد ازدان بسيوف وخناجر ونجوم وما شابهها من الصور التى تباينت اشكالها واحجامها • سلم المؤدب لمحمود علم سيدى عبد القادر الجيلاني الاخضر الذى تدلت من اطرافه حروز وسمكة سمينة طرزت كلها بالعدس الملون • فوقف في اول الصف فخورا بعلمه الطويل الثقيل بينما كان المؤدب يربط اعناق اصغر التلاميذ بحبل ويرفع شاشياتهم عن رؤوسهم

ـ يا محمود حط علمك وكمل ارفع كبابيس كل الذرى وطلع شوشاتهم

ـ لكن ما عندهمش كلهم شوشات

ـ كل طالب ما عنده شوشه خليه في آخر الصف

ثم اضاف

ـ وقت تقصوا شعركم اتركوا دائما شوشة يا اولاد ، راهي تصلح

اصطف الجميع ثم اتبعوا المؤدب وقادهم خارج القرية ، مارين بمدرسة الذكور الابتدائية وطاحونة مغز حتى اقتربوا من هضبة ام الحيران فصاحوا مع المؤدب

ـ يا الله ويا الله صب النو انشالله ، يا الله ويا الله

فدوت اصواتهم وتوجهوا الى هضبة ام الحيران وعين ام الثعالب • كان محمود ينادى معهم وينظر الى علمه وحروزه وسمكته • فلم ير علاقة بين علمه والله والمطر والسماء التى كانت صافية تلمع فيها شمس حارة محرقة لا تستريح ولا يهنا لها بال نظر حوله فرأى الاطفال يصيحون بكل ما اوتوا من قوة يتعثر بعضهم او يسقط كلما جذب بعضهم الآخر الحبل الذى يربطهم • ابتسم فرحا بهم مشفقا عليهم من الشمس ومن طوب الارض التى تشققت فكثرت ثقبها وبدت حمراء جدباء • لقد ندرت ثمرتها منذ سنوات متوالية وكادت تفقد هذه السنة فقلت الحبوب واختفى العشب حتى المروبية والكرشون والخبازة وذيل خروف والاكليل تلك الحشائش الفاسدة التى كانت تعمر الى آخر الصيف فتعافها حتى الاحمرة والمعز • اما جذوع السنابيل فلم يبق لها اثر وكانت تبقى في سنوات الرخاء الى آخر الخريف فيضطر الفلاحون الى حرقها لكى يزرعوا للشتاء والسنة الجديدة • عثر بغتة على جذوع قليلة فتذكر ايام الحصاد

(1) راجع الفكر ـ العدد 9 ـ السنة 7 ـ ص 12

الخصبة التي يقبل فيها الحصادون من كل فج يحمل كل واحد منجله فيصطفون عشرات ومئات ثم يهوون على سوق القمح والشعير بالاتهم فيلتهمونها التهاما ٠ فكانت السنابل الذهبية تنحنى امام المناجل هينة راضية مرضية ويتعالى صوت العمال ويكثر ضجيج العربات التى تحمل اكداس القمح الى البيادر وتدوى فى الفضاء اغانى عذبة تطلقها النساء والرجال على السواء فيكثر التعارف ويلد الحب فيتحمس الجو وتزداد الحركة ويدب الفرح دبيبا حتى تدرك العاملين الهجيرة فيرمون بالمناجل ويخرجون خبزهم ولبنهم وماءهم فيسدون الرمق ثم يضطجعون تاركين العنان للنوم والراحة او يستمعون الى الصراصير تغنى وتنشد فى الجو الهادىء ٠

تصدعت اذنا محمود من صياح الاطفال الذين كانوا يضعون ايديهم على رؤوسهم ثم يلوحون بها الى الفضاء مرددين

يا نو يا اميمتي
بليلي شويشتي
شويشة العتوقه
فى السماء مرشوقه

ابتسم محمود رغم تعبه عند ما رأى المؤدب يصيح ويتعثر معهم غير منتبه الى لحفته الصفراء التى كادت ان تسقط عن كتفيه ٠ فهرول لاخذها لكنه تأخر عند ما رأى المؤدب يلتفت اليه باكيا قد انهمرت دموعه على لحيته وبلت صدريته السوداء ٠ تقدم محمود فمد له لحفته قائلا

ـ لا بأس عليك يا سيدى ، انت مريض
فلم يجبه بل ازداد بكاءه ونادى

ـ يا الله يا كريم صب النو يا رحيم ! يا الله يا جليل ٠٠٠

فلما رآه الاطفال الصغار على تلك الحال ارتاعوا وناحوا معه فانقلب الاستسقاء الى مناحة . عصر محمود عينيه فظلت جامدة فاكتفى بالسير دهشا متسائلا يبحث عن حل ٠ فلو تجمع اهل القرية وبكوا يوما لجمعوا مياها تكفيهم عناء الاستسقاء؟ وما عسى ان تكون النتيجة لو تجمع جميع سكان الارض وبكوا معنا ؟ فهل ننجو من جفاف الارض ويعود الخير الى البلدة التى اصبح صيفها فى كل حين وظل شتاءها الممطر وليد فجأة وبغتة ؟

قبض على علمه بشدة وظل يمشى صامتا حتى اقترب مع رفاقه من عين ام الثعالب حيث سد قطيع غنم كبير الطريق امام سيارة شحن آتية من القصرين فناطحت عجلاتها الغنم وخرج منها السائق مزمجرا ثم انهمك فى مهاترة عنيفة مع راعى الغنم ولم ينتبه الى مؤخر سيارته الذى نزل منه رجل عارى الرأس

حافي القدمين قصد لحينه القرية بعد ان نفض غبار قميصه الابيض الفضفاض · اسرع الغريب في مشيه ناظرا امامه حتى بلغ دار الزنك حيث تجنب رجال الجندرمة الذين وقفوا بالمرصاد يعاقبون كل مفرط في السير او في اهانة دابته اندمج تحت الاشجار وقوس نصرها الطبيعي فاحس بلذة ظلالها بعد سفر طويل تحت الشمس المحرقة واصغى الى تغريد الاطيار الكثير التي كان الاطفال يتفانون في صيدها في ذلك الصباح · فوقف هنيهة واستند على شجرة ثم تابع سيره مع السواقين المتزاحمين حتى بلغ المستشفى فبلغته ضوضاء السوق واصوات الحيوانات

وظهر له سوق الملابس التي نثرت على الارض متنوعة الالوان قرب اكياس القمح والشعير واكداس الحطب والفحم · وجد نفسه بعد حين في وسط القرية حيث اصطفت مقاهيها ومتاجرها على حافتي الطريق واكتظت ساحتها بالسواقين وحلقات عازفي الرباب وضاربي البنادير والسحارين واصحاب الثعابين فلم يعر ذلك العالم انتباها واستمر في سيره السوى فمر بساحة القرية الكبيرة حتى اقترب من هضبة حراس الغابات في اسفل القرية فظهرت له عين البلدة الكبرى وبساتينها وجبل ابي الاحناش المحروق الشاهق · وقف يفحص محيطه ثم عاد على اثره حتى وصل وسط القرية وكان التعب باديا على محياه ، عثر فجأة وكاد يتحطم لولا يد محمود التي اسعفته واسندته الى حائط في مكان مظل · انحنى عليه محمود وقال



ـ لا بأس عليك يا ابي ؟ اش بيك انت مريض ؟

فنظر اليه الجالس بعينيه الضيقتين وامعن النظر فيه يشبع نفسه بشباب محمود الذي كاد « يضرط » صحة فظهر اليه رجلا كاملا رغم انه لم يبلغ التاسعة عشرة · حدق في وجهه الاسمر المستدير وتعلق نظره بأنفه القوى الافطس فكح محمود متكلفا متضايقا ورتب قميصه وسأله ثانية

ـ اش اسمك يا ابي ؟
ـ اسمي عبد الله
ـ الناس الكل عباد الله لكن اش اسمك انت ؟
ـ اسمي بودودة

ثم وقف متركزا على ركبتيه ومضى زاحفا نحو السوق وحلقاته · فرفع محمود سلته الكبيرة وتوجه نحو بساتين البلدة يفكر في هذا المخلوق الذي يدعو نفسه بودودة · فلما اقترب من سوق بائعي الخضر رأى صديقه سالم « البرسيس » قادما من شارع البريد فكانت قامته الصغيرة النحيفة تظهر تارة وتغيب اخرى بين السواقين · فناداه محمود

ـ يا برسيس اسمع !

ـ اش تحب منى . نايه رايح للرحبه ندبر فى راسى من السواقه

ـ اسمع شويه ، نايه شفت واحد غريب حيرنى • بالله عس عليه وين يمشى وشد جرته حتى نرجع •

ـ لا يا خويه دبر على نفسك ، انت دائما لاهى بغيرك كأنك تحب تبلع الدنيا وما فيها • اليوم يوم سوق انحب اندبر حويجه على نفسى ، اذا فاتنى السوق تعشينى انت ؟

ثم تأخر واندفع هاربا من محمود الذى لاحقه وقبض على ساعده بشدة

ـ يا مجنون هذا يسمى نفسه بودودة يمكن نعدى عليه وقيت باهى • انا عندى فلوس ياسره والله نعطيك منها •

ـ هاتهم توا والا امشى زمر انت وصاحبك ودودته

ـ ها هو دورو يا سيدى على الحساب وبعد انزيدك وما تكبرش بطنك • والله لو ماكان ابى كلفنى بقضية الخليفة ما اعطيتك سوردى يا حلوف• تحبوا تشيخوا على حساب غيركم دائما • الله قداش الناس يحبوا الهندى مقشر .

مد محمود قطعة نحاسية لسالم فرفع شاشيته فوضعها فيها ثم اعادها على رأسه فائزا محتالا



ـ لكن نايه ما نعرفش صاحبك هذا ! كيفاش خليقته ؟

ـ هو شايب قصير ، اطول منك اشويه ، اسود محروق ، ضعيف كالجرادة ، لابس سوريه بيضه رهيفة والله كان تشوفه تعرفه • امشى قبل ما يضيع • تلقاه يتفرج على سحار من السحاره •

ثم دفـع البرسيس الذى عـدا نحو حلقات السحرة راجيا وجود الغريب بسرعة • وقف لما بلغ حانوت البرناط واخذ يفكر فى كيفية العثور على الغريب فسعى ان يتصوره لان وصف محمود لا يكفى • فمرت بذهنه صور كثيرة • فلعل الغريب يشابه أبا القاسم النباح الذى اقبل يوما على بلدة تالة وهو ينبح شاهرا عصا باحدى يديه وماسكا بالاخرى قطعة صوفية يجرها وراءه ويكنس بها الطريق • فهو يتذكر كيف اقترب منه مع رفاقه لمداعبته فزمجر فى وجوههم واشهر عليهم عصاته فانهزموا من امامه وتركوا سبيله خوفا منه ومن اهل البلدة الذين كانوا ينهرون كل من تطاول على مسه بسوء لانهم راوا فيه وليا صالحا متنكرا زهد فى هذه الدنيا فهاجر كل سيئاتها حتى كلام الناس ففضل عليه نباح الكلاب ليخاطب الرب الاعلى • فلقد روى سى يوسف بن على احد

اتقياء القرية انه فاجأ ابا القاسم فى جامع سيدى عبد القادر يصلى ويبتهل الى الله بلغة عربية فصيحة كأنها لغة سيدنا عمر بن الخطاب • فاصبح ابو القاسم محل الاعتبار والتقدير واقبل عليه الناس وخاصة اعيانهم يتبركون به ويتقربون اليه • فكم غبطه « البرسيس » ومحمود واصحابهما عند ما كانوا يرونه جالسا قرب الاعيان يتذوق ما لذ وطاب من المشروبات يلقى بها احيانا على ملابس احد الاعيان فيتقبل اهانة ابى القاسم ضاحكا معتبرا اياها فضلا احظاه به الله ووليه الصالح • فكان ابو القاسم الرجل الوحيد الذى يدخل المنازل ويجلس مع النساء دون ان يرى الناس فى ذلك حرجا فتبخر البيوت وتجتمع النساء حوله يعرضن مشاكلهن • فلقد استقبلته ام سالم ايضا • فكانت تتصيده عند مروره بحى ابى لعابه حتى فازت به • كادت تطير من الفرح لان وليا صالحا سيدعو لابنها فيصلح الله امره فيسمن ويطول لانها كانت تتألم من تغيبه عن الكتاب ومن قصره العضال رغم بلوغه السابعة عشرة • فكانت تتحمل من اجل ابنها تهكم جارتها محبوبة التى تشتمهـا فى اليوم مرتين على الاقـل وتعيب عليها قصره وخيبته فترد عليها متوجعة

ــ نايه راضيه بيه • كل طفل فى عين امه غزال

ويتذكر سالم انها اخرجت فى ذلك اليوم حقة القهوة التى اشتراها والـده ومات دون ان يشربها •

فاصرت على دسها وحرمت نفسها منها مترقبة فرصة سعيدة لاهدائها وكانت دائما تقول

ــ عندى حكه قهوة ونطع ابيض • يشرب القهوة باهى ومليح ويقعد على النطع كريم نظيف

فاجلست ابا القاسم فى وسط البيت على نطعها الابيض وقدمت له فنجان القهوة ثم نادت البرسيس فاجلسته قرب ابى القاسم الذى كان يطلق نبحات من حين لآخـر وقـالت

ــ ادعيله يا سيدى حتى يقرأ ويكبر ويحفظ الستين حزب ويعاون امه على هم الزمان ؟ افتحها فى وجهه يا سيدى ؟

وكان البرسيس يرمق أبا القاسم وينظر الى امه وبغتة قفز ابو القاسم ونبح ثم زمجر فى وجههما وانقض عليهما بعصاه ففرا منه الى الباب فتبعهما رافعا عصاه ولما وصل الشارع نزل راكضا الى السوق فرجعت امه مطأطئة الرأس وجلست ببيتها تبكى لان ابا القاسم لم يستجب • اما البرسيس فلقد ارتكز بكفيه على حافة الباب ونادى باعلى صوته مستهزئا

ــ يا امي باهي ومليح كريم ونظيف

ثم ركض نحو السوق ليلتقي برفاقه ٠

مرت هذه الصور بذهن البرسيس خاطفة عاجلة فاستهزا منها كما استهزا من وقائعه مع مجانين آخرين امثال محمد « بالرخة » النمرى الذى وشح صدره باقمشة مختلفة الالوان ورمى على ظهره بقصبتين طويلتين كان ينفخ فيهما الحانا بدوية عذبة ٠ تذكر البرسيس ايضا ابا القاسم العيارى الذى كان يرتدى لباس النساء مدعيا انه المرأة الوحيدة التى لم تبع لحيتها للرجال ٠ فكان يقول

ــ كانت للنساء لحى باعوها للرجال فى بر الهند فى غابر الزمان الا نايه ما بعت لحيتى

وصل سالم « البرسيس » امام مقهى « تونس » فتذكر انه ارسل فى مهمة دفع له ثمنها فاسرع فى مشيته حتى بلغ الحلقة الاولى التى وضعت رحالها على مقربة من صناديق الفواكه والخضر الآتية من تونس وصفاقس ٠ تسلل الى داخل الحلقة فرأى شيخا معمما تتراقص شنباته وطفلا صغيرا ينقر على بندير كلما قال الشيخ

ــ يا ساده يا ماده يا كرام صلوا على النبى المختار

كان الشيخ يصول ويجول قابضا على رباب ويحكى عن غزوة واد الصيصبان وبراز سيدنا على بن ابى طالب مع رأس الغول ٠ فكان يخطو خطوة الى الامام واخرى الى الوراء ويرفع رأسه الى السماء ثم ينحنى على ربابه فيجرحه ويستمر فى روايته صائحا متحمسا غامضا

ــ قال الامام على كرم الله وجهه لرأس الغول : يا كافر بالله ٠٠٠٠

فيرفع المتفرجون العاطلون ايديهم ويمسحون وجوههم تبركا ثم يمدون اعناقهم مرهفين السمع ٠

القى سالم نظرة على الحاضرين فلم يخيل له انه رأى الغريب فخرج من الحلقة مستعينا بمرفقيه ثم نظر حوله فرأى ثلاث حلقات اخرى ٠ استصعب زيارتها كلها لان النهار راح والسوق توشك على الانتهاء فخاف ان يضيع منه وقته الثمين قرر زيارة حلقة ثانية ثم التوجه بعدها الى رحبة الغنم ٠ كانت الحلقة الثانية هى حلقة العيساوية السحارين فدخلها كما دخل الحلقة الاولى مقدما رأسه كانه قط يطل من نافذة ٠ رأى رجلين عاريى الصدر انهمك احدهما فى نفخ زكرة وتحمس الآخر فعرض شاشيته يحث المتفرجين على الاسراع فى دفع قليل من المال حتى يتشجع على مواصلة بهلوانياته مع الحيات التى كانت تختفى تارة

وتظهر اخرى من السلة التي جمعها فيها السحرة • ذعر البرسيس من منظرها وحركاتها فالقى نظرة سريعة فلم يتصور انه رأى الغريب فتخلص بسرعة خاشيا تسرب احدى تلك الزواحف اليه فتلدغه • استمر يمشى حتى وصل الحديقة البلدية التي اضمحلت منها كل شجرة وزهرة فاصبحت ميدانا للسواقين ينامون به وللاطفال يدفعون فيه كرة خرق بالية • صعد على سياجها والقى نظرة على السوق لعله يرى الغريب الذى ذاب كالملحة فى الماء فرأى الناس يتزاحمون وينحنون متزاحمين ولفت نظره رجلان كانا يصيحان فكان احدهما طويلا سمينا يمشى بعناء يقلب رأسه الضخم الذى استوت عليه عمامة ضخمة فبدا كانه قبة تتجول • وكان الثانى نحيفا اسود تعالى شعره وتبعضت رجلاه الكبيرة فبدا كانه شجرة زيتون جرداء تمشى • شعر سالم بالبحث فتوجه الى سوق الغنم فلاقى قرب مخبزة شارلو عبد العزيز المعمورى • عرض عليه مشاركته في « الدورو » شرط ان يتكلف بالبحث عن الغريب ويحيطه علما اذا تمكن من العثور عليه • لكن عبد العزيز امتنع لانه كان مشغولا بالبحث عن ديك رومى لكى يسمنه ويأخذه لعين البلدة فيعارضه بالديكة الاخرى • وكان قد اشترى فعلا كثيرا من الهريسة ليغذى بها الديك فتقوى طاقته فى البراز • فلما يئس البرسيس من مساعدة عبد العزيز صاح فيه دون ان يخشى بطشه

ـ انت ما تفكر الا فى السراديك والدجاج ، الاحسن تولى انت دجاجة والا سردوك وتريح بالك •

فرد عليه عبد العزيز

ـ كل انسان عنده بليته وبليتك انت المجانين يا مجنون



فلم يجبه البرسيس بل تأخر ورفع عودا طويلا فضرب به عبد العزيز ضربتين وفر فطارده خصمه لكنه تخلص منه وضاع عليه بين السواقين • وقف البرسيس لاهثا حانقا على عبد العزيز وما انفك يحنق عليه لا لشغفه بالديكة بل لانه كان يلوك كل شيء حتى الفواكه فلا يأكل المشمشة الا بعد ان يلعب بها لسانه الكرة ساعتين فلا يأكلها ولا يسلمها لغيره يأكلها كانه يريد ان يبقى طعمها فى فمه طول الحياة • وليس عبد العزيز الفرد الوحيد من نوعه لان امثاله كثيرون بالقرية • فخذ مثلا خليفة العامل الذى اشترى سيارة « رونو » قديمة هزيلة وادخلها المستودع • فكان يزورها كل صباح فيدور حولها ويمر يده عليها ثم يغلق عليها الباب ويروح • فالغريب فى هؤلاء الناس الذين يلوكون الحياة هو انهم اغنى اهل القرية وايسرهم فكان الله لا يمن برزقه الا على من لا يحتاجون اليه • فهو لا يعطى الفول الا لمن فقد اسنانه •

اقترب سالم من منزل مدام سالى فرأى عربة بكار الصفاقسى فركض وراءها وتعلق بها حتى وصل الى سوق الغنم • دار يبحث عن زبون فلم يفلح فى سعيه

فعاد الى ساحة القرية وما كاد يدرك اسطبل احمد بن ابراهيم حتى شعر بيد تقبض عليه فطار عقله ظانا ان عبد العزيز قد قبض عليه لينتقم منه • تنهد عند ما رأى محمود يشير اليه ان اسكت وان اتبعني • تبع محمودا حتى وصلا قرب صفوف الخبازين والشوائين فكان زيتهم يتطاير من مقلاتهم يقلبون فيها لحوما طبخوها لسابع مرة فبردت ولم يقبل عليها الزبائن

ـ ها هو صاحبنا واقف قرب بياع الخبز • انظر له يتقدم ، ها هو هو

كان بودودة يمشي محدقا فى متاع الشوائين والخبازين حتى بلغ آخر صفهم ثم عاد • كانت حركته بطيئة فى اول الامر فوقف امام شواء يغذى نفسه ببخار اللحوم الفائح وامعن النظر فى الخبز الابيض الذى كان معروضا فى صفوف منسقة • اعتراه اضطراب فصار يمر مرورا سريعا امام الخبز واللحوم ثم وقف فجأة امام خباز كان منهمكا فى رد باقي بدوى وانقض على خبزة جعلها تحت ابطه ثم اطلق رجليه للريح • فانتبه البائع ونادى باعلى صوته الذى رن فى السوق

ـ السارق ! السارق ! اى خبزى ! شدوه ! شدوه !

ثم قفز واقتفى اثره دون ان ينتبه انه ترك خبزه وماله دون حافظ • فاعترت السوق موجة فزع وفوضى فاسرع كل بائع يجمع متاعه خشية الخطف والنهب وانسابت وراء الهارب مئات من الملاحقين والمتطفلين منهم محمود والبرسيس فكان اغلبهم ينادى شدوا السارق ، دون ان يعلموا من السارق وما المسروق والسرقة • تضخم عددهم ونزل مارا بسوق الخضارين فداسوا صناديق الخضر ونهبوا كلما وقع بين ايديهم ثم اندمجوا فى شارع الجزارين لان الهارب كان يلتوى فى عدوه • تابعوه فى طريق البلدة الرئيسية وبالبطحاء الكبرى ثم وقفوا متهالكين امام الكنيسة ، بالقرب من محل موشى اليهودى كثر ضجيجهم وتساؤلهم وتزاحمهم فتسلل البرسيس الى داخل الحلقة فرأى الخباز جاثما على صدر الهارب يلكم وجهه الذى لوثه الدم • فكان اكثر الناس يشجعونه على المزيد من الضرب فكلما هوت يد الخباز اطلقوا زخرة جماعية منسقة • ظل الخباز يدك الغريب الذى فقد شعوره من الكلمات الاولى فكان يضرب جسما هامدا • فاغتاظ البرسيس فنادى باعلى صوته

ـ يا محمود ! بودودة مات ! يا محمود قتله الخباز على خبزه !

ادركه محمود وصرخ

ـ كف ! كف ! انت تضرب فى راجل ميت ، كف يا خباز !

ثم انقض على الخباز فاخذه من كتفه ورمى به الى جانب فشعر عندئذ بمصيبتا الثانية وعاد راكضا الى خبزه وماله •

ـ يا سالم اجرى جيب اسطل ماء ، اجرى يا خويه اجرى ، طير

ثم انحنى على بودودة ورفع يديه فسقطت متهالكة • رفع رأسه فوقع على

الارض فظنه مات لكنه عاد فوضع أذنه على قلبه فسمعه يدق دقا ضعيفا بطيئا . تسلم سطل الماء من سالم فرش وجه الغريب وادخل قطرات فى انفه وانتظر لحظات حتى فتح بودودة عينيه . فما كاد محمود يجلسه ويشد ازره حتى قامت ضجة اخرى وظهر الخباز مصحوبا بصبائحيين . فكان يلعن السارق ويبكي ويخبط صدره متلوعا

اى خبزي كله راح وفلوسي تسرقت ! اش ماش انقول لعرفى ؟ والله يقتلني يا ناس

تقدم صبائحي من بودودة فسأله

ـ ليه تسرق الخبز متاع غيرك ؟ اش اسمك ؟

فلم يجبه بل نظر الى الناس المحيطين به ثم ابتسم فصاح فيه الصبائحي

ـ تضحك ؟ كلاب الحاج العربي يقلعلك ازروسك . هيا تبعني لدار القايد

اراد ان يقف لكنه سقط فحمله محمود واتبع الصبائحي بعد ان فرق الصبائحي الآخر المتطفلين

خرج محمود من ادارة العامل بعد ساعات حاملا بودودة على كتفه واتبع الصبائحي الى السجن المجاور لدار الجندرمة ففتح الصبائحي بابا حديديا ضخما وامر محمود

ـ ارميه فى هذه البيت ـ هيا اتحرك يا ولد

فسعى محمود للاسراع لكنه وقف لان البيت كان مملوءا فيه خمسة مساجين آخرين كادوا يركبون بعضهم بعضا فى تلك الشقة التى ضاق رحابها وسادت فيها رائحة كريهة آتية من ثقبة فى زاوية يتردد عليها المساجين للاستراحة . تأخر محمود قائلا

ـ ها البيت ناتنه وسكانها ياسر وشباكها ما يدخلش الهواء . يا رسول الله ما ثمه حتى حصير تحميهم من السيمان ؟

فزمجر الصبائحي غاضبا مهددا

ـ هيا ارمي علينا المصيبة وخلي افكارك عندك والا توا نرميك فى قلبه معاهم .

ثم افتك منه بودودة ورمى به فوقع على ظهر احد المساجين . خرج محمود ووقف اما السجن يفكر ويتساءل . فما سيكون شأن المسجون الذى يضطر الى الاستراحة فى ذلك البيت ؟ وما عسى ان تكون حيلة رفاقه فى تلك اللحظة عند ما يشمر عن افخاذه ؟ هم يمشي حتى اقترب من المدرسة الابتدائية فسمع صوتا يناديه . رأى المعلم سى علي خارجا من مكتب البوليس فعاد اليه .

ـ عندى حيط نحب نهدمه ، تقدر تقوم بها الخدمة هذى ؟

ـ ممكن

وتقدر تشرى لينا شويه خضره من السوق فى ايام الاسبوع وتعاون مدام فى قضياتها ؟

ـ هذا كله ممكن قل وقت الى حاجتك بيه

ثم فارق المعلم وكانت الشمس تميل الى الغروب تقترب من الهضاب تكاد تمسها . فتصور محمود انه لو صعد على قمة احدى الهضاب ومد يده للشمس لنالها . فكان كوكبها الاحمر يلهب الافق ويعكس لونها على الجبال والهضاب المحيطة بالقرية فبدت حمراء بدورها كانها تصطلي نارا باردة . نظر مرة اخرى للشمس واراد ان يحدق فيها فلم يستطع ـ غضب قليلا من تغلبها عليه واكتفى بالقول السائد الذى يرى انها لا تغرب الا على الهم او الدم .

# همـــــــلان ٠٠٠ !

« فى ختام العام الدراسى بثانوية البنات ٠ المنستير »

شعـر : حسين سفطه

بنيـاتـى ! صغيـراتـى ! فتيـاتـى ! الى الآتـى
سأطـوى العطلـة الكبـرى بـأنـات وآهـات
وأهـمى الـدمـع هتـانـا سخيـا مـن عصاراتـى
عـلى ما ضـاع مـن عمرى عـلى تمـزيـق أشتـاتـى
أذيـب النفس مطـواعـا لأحـيى كـل ساعـاتـى
وأرويـكن مـن قـلبى ومـن روحـى ومـن ذاتـى
أنـاغيكـن ألحـانـا لطـافـا فـى دراساتـى
وأنغـامـا رقيقـات سخيـات ٠ عطـوفـات
تـراءت فـى اشاراتـى وبـانت فـى مناجـاتـى
الى أن حـلت البشـرى فاصبحتـن آيـاتـى
تحسستـن الهـامـا ووحيـا مـن فيـوضـاتـى
وحـاولتـن أشعـارا وألحـانـا زكيـات
مفـاعيلـن ، مفـاعيلـن وبحـر مـن فعـولات

***

تقضـى العـام عـداء كبـرق خـلب عـاتي
فكـم مـن عمرنـا يطـوى وشيكـا دون ريثـات
وكـم مـن عيشنـا يمضـى عجـولا فـى الملمـات
مصـابـى أننـى أحيـا شقيـا رهـن أنـاتي
لأن الـدهـر غـدار لـدود فـى معـاداتـى
جسـور لايـرى بغيـا اذا مـاهـد عـزمـاتـى
عنـود هكـذا يبغـى ملـح فـى مـواراتـى
ولكـن سـوف أهـديـه نصيبـا مـن شعـاعـاتي
عسى الاشـراق يهـديـه سـدادا مـن بـلاغـاتـى
فنطـوى صفحـة الماضى ونجيـا فـى انسجامـات
أنـا للـدهـر تـأييـد ودهـرى فـى محـاذاتـى
سنبنى هكـذا صرحـا عتيـدا للمصيبـات
ويجـرى النبـع رقـراقـا بـالحـان ورنـات
اذا الاصـداء قـد جـابت فضـاء ، فهـى صدحـاتي
وان نـاحـت بـلا دمـع فقطعـا تـلك صـرخـاتي
أقـد العيش مـن صخـر وأسمـو للسمـاوات
وأعلـو العـزة المثـلى نجيـا للثـريـات

بناتي خذن من شخصي ... مثالا قائم الذات
ترين الكون اشراقا ... مشعا في الغيومات
وتستلهمن افكارا ... عميقات أليقات
فصول العلم قد عجت ... وماجت بالكريمات
وأضحى الفكر وقادا ... مليئا بالثقافات
تبارى الطفل والأنثى ... على نيل الاجازات
بفضل المرشد الأسمى ... وهادينا لغايات
حبيب ، جل مصداقا ... لتبديد الجهالات
زعيم قدوة الدنيا ... نصير للعدالات
يرى في نصفنا الثاني ... رصيدات أكيدات
ويسعى ان يرى كلا ... يرد الخير خيرات
فكم للشهم من عز ... ومجد في السياسات

***

هنيئا يا بني الخضرا ... ببطلات زعيمات
لهن البارق الأسنى ... عظيمات عفيفات
فكن الأنجم الشم ... لأعوام سعيدات
دراري لآلات كونا ... وضيئا بالنيرات
فكم للشعب من فخر ... ونجح في المهمات
وكم يأتيه من نصر ... مبين في الهجومات
به العلياء قد طافت ... الى ما لا نهايات
فعزا للألى عاشوا ... وخلدا للبطولات
وجنات لمن ضحوا ... بأرواح طهورات
بناتي ، عشن في خير ... فخورات رغيدات
وصغن الشعب في جد ... وحزم كالشهيرات
فبعد العلم تفكير ... جديد في البيوتات
عميق في معانيه ... أصيل في المجالات

***

اذا وجهت آرائي ... لشبلات غيورات
فلا أعني سوى نصح ... مفيد من وصياتي
سلامي للتي تهفو ... لألفاظي وقولاتي
الى من تحفظ الذكرى ... عصارات التحيات
وداعا يابنياتي ... قريبا عامنا الآتي

حسين سفطة
استاذ العربية بثانوية البنات
بالمنستير

# من رفعة أبى سعيد الى اسبانية العرب

بقلم : المنذر بن ميلاد

ضحك الربيع يومئذ فوق ربوة « أبى سعيد » وهاجت فى صدرى حملة شوق الى السفر • فحملنى عشية الى المقهى « العالى » اسما ومقاما ، خطو مختال عبر ديار بيضاء ، أبوابها مقوسة زرقاء نوافذها العتيقة تتدلى كعناقيد من العنب مشرفة على شارع متعطف •••

أحلنى السير المختال عتبة المقهى العالى •

ضجة هائلة وقهقهة عالية •

قد تربع لاعبو الاوراق على حصير فوق علوة فى يمين المقهى • غالبهم يضحك على مغلوبهم وأعين بعض الحاضرين الى اوراقهم المتطايرة • انهم لاعبو الاوراق ! تعرفهم جميع أهالى الربوة • يجتمعون أوائل الليل يتبادلون « الرى » و « الكوال » فى انتظار أوائل الفجر وهم أثناء اللعب يأتون فى السمر على أبدع ما سمعت الأذن من أساطير عجيبة وأحاديث طريفة وتعابير بليغة جميلة •

الربيع دفء ولياليه ساحرة والربوة جلابة الانظار فى بهجتها حمالة الاشواق بسرها •

أتانى الساقى • اسمه « العالى » • صنم يتحرك • صورة انسان منحنى الرأس يحضر هادئا متمهلا ثم يغيب كما حضر بعد ان يلقى مريد الشراب اسم المشروب فى أذنه الفسيحة الوعاء • سيمته الصمت فلم أعرف له قولا سوى « حفظك الله » أو « أغناك الرب » أو « دعنى مع عقلى » •••

وقلت : « قهوة يا عالى !» فانصرف صامتا باهت العينين كدت أشك فى طاقته على السمع •

بسطت الطرف من علو مكانى على خضرة فرشت ارضا بعيدة ، والشمس فى ساعة غروبها ، فراع العين مشهد جنان يحترق • والطريف فى الامر أنه لم يكن للدخان أثر • فما أنقى الجو وما أصفى السماء بتونس •

رجع « العالى » وفنجان قهوتى وديع كفه الرحيم • قصير نحيف مسن أصلع الرأس عاريه بخيل بحركاته كأنه بين الموت والحياة • وضع الفنجان أمامى وأخذ النقود من يدى ثم تمتم « أغناك الرب » ويده الى جيب قميصه

الرمادى الطويل • رأيت نعله يتحرك وهندامه عنى يغيب •

لقد خدر « التكرورى » أعصابه •

كان العالى من أولائك الذين ألفوا المجون منذ الصغر • فلقد نشأ فى مجتمع باع الوقت فى احياء ذكرى أيام العرب فى الانـدلس • مجتمع راعته بهجـة تقهقر السلطان الاسلامى فى قاووق حضارة وشتها البساتين وعطرتها الخمور والحشائش المخدر تدخينها • ولم يعرف التاريخ ثم لن يعرف انهمارا ابهج من انهمار العرب فى الاندلس • تلك حضارة صارت الى الدمار وأصوات أبدع الغانيات ترافقها الى الهاوية ، تتبعها الى المقبرة والاسلام فى تابوت من ذهب على عاتقى أجمل راقصة وأحسن غلام • اطلق الشاهد يا صاحبى ثم حدد معى الأذن ! هذه نغمة فى أذنى ! هذه ذخيرة فى ارثنا !حدد الأذن ! أرجـوك • هلا سمعت ؟

« الخـلاعـة تعجبنـى لأننى وليـــع »
« والمـلام لا ينفـع فى مـن لا يطيـع »

لعل « العـالى » رجع صوت غانية من الزهـراء أم طيف أتى من البندقية القديمة العتيقة ليسقينى قهوة • فما اسعدنى فى هذا المكان !

هوى بى التفكير الى الاحلام والاحلام أحلتنى الذهـول فهمت وحـدى فى اسبانية العرب وفق ما صورت قوافى ابن زيدون واشعار ابن سهل اليهودى ـ « رأيت ظبية • ويالها من ظبية • ظبية : وأما بنعمة ربك فحدث •»

طرق هذا القـول سمعى فأفقت من ذهـولى فسألت بالعين عن صاحبه • فرأيت على مقربة منى شيخا نحيف الجسم طويل القامة قوى العظم لين النظر لطيفه أزرق العينين أبيض الرأس جميلا فى شيخوخته على ملامح هيئته ارث رخاء ورغد عيش وأصل أصيل كريم ركن فى حُركاته الانيقة السلسة • وكان لباسه قليلا، نظيفا عرفته حسب اللون والقماش رفيع المتجر وبقية أيام غنى•

كان صحبـة الشيخ رجـل « سمين » مستبشر الوجه أحمره عـلى رأسه شاشية • جبته الحريرية بائنة الجودة فى الصنع والاناقة فى اللبس رغم سمن الرجل • لونها احمر قان •

وأخذ الشيخ والرجل يتحادثان والرجل يرتعد ضحكا ووجهه يتهلل طربا بما يرويه الشيخ •

ـ « وتبعت الظبية من نهج الى زقاق حتى طرقت بابا متقن الصنعة جميل الشكـل ٠٠٠»

تركتهما والحديث عقد بينهما ورجعت للذهول من حيث لا أدرى ٠

عجبت لتعرض الشيخ على فى الخيال فى صورة ملك عائق يتعاطى من اللهو واللعب ما شاء ويصل ، حسب القول الجارى ، فى لذاته اليوم بالأمس وينام فلا يوقظه الا حر الشمس ٠٠٠ ثم أفلت من الخيال من باب خفى ولفظنى الحلم الى الواقع فرجعت بالنظر الى الشيخ ٠ وتفحصته بعين من أراد اشتراء حصان عربى كريم الاصل ٠ يا للمشهد ! كان الشيخ عندئذ منفردا فلقد انصرف جليسه من دون ان أشعر ٠ جماد راسخ على كرسى ، انطفأ نظر الشيخ٠ وهدأ الحراك عنده فتمددت تجاعيد وجهه وتسطرت الاعوام ع لى جبهته وتدلى ذقنه وانفتح فمه وسال ريقه من شفته السفلى على جبته فكأنه جذع شجرة نحته الشتاء وبراه برياحه وامطاره على شكل رجل ثم حفر فى أعلاه عينا تقاطر منها ماء مخزون ٠ وسمعت صديقا ينادينى وقد رآنى فاراد الجلوس معى ٠ فشعرت بما يشعر به الراجع من سفر ٠٠٠

**المنذر بن ميـلاد**

---

### كتب وردت الى المجلة

- **الـزوجة الاخيرة** ـ مجموعة مسرحيات قصيرة تأليف فوزى عبد القادر الميلادى (ج٠ ع٠ م)
والمجلة تشكر الاستاذ المؤلف على اهـدائه اللطيف ٠
- **المسوحيات** ـ بقلم : جبران مسوح (دار الثقافة بيروت)
- **لهـات الحيـاة** ـ بقلم : يوسف عـزالدين (مكتبـة النهضة ـ بغداد)
- **التيارات الادبية فى العراق ـ الزهاوى الشاعر القلق** بقلم : الدكتور يـوسف عزالدين (مكتبـة النهضة ـ بغداد)

**نقـائش القـرجـانى** ـ تأليف الاستـاذ سليمـان مصطفى زبيس
وقد أهدانا المـؤلف نسخة نشكره عليها ونهنئه بعمله الجليل

# كـادت أن تتغير حياتـه

**اقصوصة بقلـم : بيـة النـورى**

اشتدت الحركة بشارع باب الجديد قرب الثامنة صباحا ، فأكتظ بالمارة ، وكثرت السيارات متلاحقة ، متقاطعة تفرم كسكاكين الكفتاجى ، وعلا ضجيج التلاميذ وهم يتزاحمون على أبواب مدارسهم •

وظهرت من بين المارة صديقتان فى طريقهما الى المـدرسة ، تبـدو عليهما الاناقة وجمال المظهر ككل فتاة فى سن السادسة عشرة ، ويدور بينهما حديث لـذيـذ •

ــ آش يخـدم ؟

ــ توه يخدم مع مهندس وباش يحضر مناظرة ويولى هو بيده مهندس وانت يـا سعـاد ؟

ــ أنا وخيتى نراه تبدى عنده محفظة مذخمة وما نعرف واين يخدم ؟••

ــ أنا أسمـه فاروق

ــ أنـا أسمه رحـومة

وكأن لهذا الاسم رنينا خاصا فى قلب سعاد ، فتسبح فى بحور من الخيال وتفكر فى أمل طالما ترجته وسعادة كثيرا ما انتظرتها ، ويطوف حولها شبح رحومه الذى كثيرا ما شغلها أمره كلما رأته امام المدرسة ينتظر خـروجها ، وكثيرا ما فكرت فيه حين تتلاقى أعينهما ، فيرمى لها بكلمة عذبة بعد ما يلتفت يمنة ويسرة كأنه لا يريد أن يسمعه أحد سواها •

ومن لا يعرف رحومه فى رحبة الغنم والمركاض ، انـه لا يغيب عن انظار سكان تلك الجهـة •

كانوا يرونه « يفصل فى الحوم ويخيط في الزناقى » أو يلعب بالكـرة فى بطحاء الخيل ، أو يتشاجر مع صديقه رزوقة لانه لم يعطه سيجارة •

وقف أمام حائط من حيطان الشارع يحيى سكـان الحومة ، فهو يعـرف أوقاتهم واحدا واحدا •

وأسرع نحو عم الحاج وهو قادم من بعيد يرفل فى جبته « الستكرودة » وقد بدا من تحتها بطن كبير كبطن الحامل ، واحتقن وجهه بالدم لانه كان مثقلا بقفتين ، ويحييه رحومه :

ــ الله يعينك عم الحاج •••

فيجيبه بلهفـة :

ـ هز هز يا رحومه للدار ٠٠٠

ـ آه ما أثقلهم ! تحب تسقط لى قلبى ٠ لا يا سيدى ٠

ـ أنت هـز يا رحومه باش نعطيك كراك ٠٠٠

ويفرح رحومه لكلمة العطاء ، ويحمل القفتين الى دار عم الحاج٠فيعطيه حاره برتقـال قائلا :

ـ أضرب عاد يارحومه حتى تشبع ! قول عمك الحاج مايحبكش ٠٠٠

ويتقبل رحومه هديته دون رضا متمتما :

ـ ها القرنيطة بـاب ! بـاب ! ماعطانيش حتى عشرين مليم ويأخذ فى تقشير غلته ، فيدوس قشورهـا بقدميه على الارض ، ويـرمى بعضها فـوق السطـوح ٠

وأعترضته أمى ددو ذاهبة الى الحمام فأعانها على حمل صرها ، ودعا لها :

ـ انشاء الله بالشفاء يا امى ددو ٠٠٠

ـ يعيش ولدى يا رحومه ـ خوذ هاو دوره ٠

وامام الحمام تقابل رحومه مع صديقه رزوقه :

ـ عندكش زقيره بـربى

ـ روح وأنت باقى تحب اللقم الباردة ٠

ـ يزينا عاد ٠ هات وما تمرضنيش ٠

ـ هاو عندك الفلوس بره أشرى

ـ يـزى فك مش لازم حتى أنا قاعد ليك ٠

ويزداد الحنق بينهما فيتبادلان السب والشتم ويأخذان فى المشاجرة حتى يصلح بينهما أحد السكان ٠

ويذهب رحومه ليشترى سيجارة ، فيضعها فى جيبه ، ثم يأخذ طريقه الى المسرح البلدى ويتجه الى قصدرية الزبلة التابعة له ، فيقلبها رأسا عـلى عقب مفتشا عن باكو دخان فارغ من النوع الرفيع ليضع فيه سيجارته

واذا تحصل على مرغوبه ذهب ليتمم بقية أعماله ٠

فيمر بنهج الجزيرة قرب خروج المتوظفين ، حيث ينتظر سى طارق الشاب الانيق المحترم صاحب « الفيلا » الجديدة بالمركاض والمتوظف باحدى ادارات نهج الجزيرة ٠

ويحين الوقت فيأخذ المتوظفون فى الخروج أفواجا واسرابا متلاحقة ، ويظهر من بينهم سى طارق يترشق فى مشيته ، متشاغلا بمضغ علكة وهو يتحدث مع زميلة له ٠ فلما رآه رحومه كشخ وأسرع نحوه :

ـ أنست ٠!

ولم يرد عليه سى طارق بل أعطاه المحفظة كالعادة قائلا :

ـ بـره هـز للدار ٠٠٠

فيزداد تبالد رحومه ، ويملأ نظره من محاسن الفتاة ثم يسأل سى طارق:

ـ آش كونى هذه ؟ تخدم معاك ؟

فيحمر وجه الشاب ويغضب وتجحظ عيناه ويصيح به

ـ أذهب من وجهى يا هم ويزى من البلاده ٠٠٠

ثم يأخذ بيد فتاته ويواصلان سيرهما ٠ اما رحومه فيبقى جامدا فى مكانه ينظر اليهما ثم يحول نظره قائلا :

ـ حتى أنا عندى ٠٠٠ عندى سعـاد !

وكأنه تذكر اشياء هامة فيضرب بيده على رأسه صائحـا :

ـ أوه النهار راح ، وقتاش نوصل ٠

واسرع فى مشيته حتى وصل الى باب الجديد ، وهنا وقف ليصلح أحواله ، أزال غبار ملابسه ، ووضع نظارتيه الشمسية على عينيه ، وكان قد اشتراهما من سوق العاصر ليجدها وقت الحاجة ، وضع المحفظة تحت ابطه ، واستقام فى مشيته ، واعتدل ووقف أمام باب المدرسة ٠

وجد الطالبات قد بدأن فى الخروج فأخذ يبحث عن سعـاد بلهفـة عجيبة ويفتش عنها بنظراته المملوءة شوقـا وانتظارا ٠

وفجأة التقت أعينهما معـا ٠ فأهتزت الفتـاة هزة خفيفة واحست بتأجج وسط أحشائها ، وخفرت وجنتاها خجلا ، ثم نظرت الى صديقتها وقالت :

ـ ووه رحومه جاء !٠٠

ـ وآينـه ؟ ٠٠

ـ هاك ألّلى فيده محفظة ٠٠٠

ويعتدل رحومـه فى مشيته ثـم يخرج من جيبه باكو الدخـان ويشعـل السيجارة التى وضعها فيه ، وان كانت هى الوحيدة ، ويرمى بالباكـو بين ساقى سعـاد ٠

فتلتفت سعاد الى زميلتها مبتسمة :

ـ وخيتي رحومه يتكيف الكمال ...

وتأخذ الصديقتان طريقهما الى المنزل ، ورحومه وراءهما يتتبع خطاهما .

وهكذا مرت فترة من السنة الدراسية بين رحومه وسعاد . ويظهر أنه حس ينقص فى شخصه ، فالتحق باحد مراكز مقاومة الامية ، وجعل يواصل الدروس الليلية .

ومرت أيام ، وأسابيع ، ثم أشهر ، ولم يعد رحومه يرى سعاد .

ترى ما الذى أصابها ؟

أهى مريضة ؟ أم أصابها مكروه ؟

ولكن لا هذا ولا ذاك، بلهو شيء أعظم ومصيبة كبرى سلطت على رحومه. كان قد تقدم لخطبة سعاد أحد الشبان المثقفين ، فوافق عليه والدها ، وتقرعقد قرانها ، وفارقت الفتاة مدرستها لتتهيأ وتستعد للزواج .

اما رحومه فاصبح ساهما واجما ، دائم التفكير ، يردد على فمه تلك الاغنية التى حفظها منذ اختفاء سعاد عنه .

يا هاجره يا مليعه الكبيده     ردى على الدمعه والتنهيده

وما أحوج رحومه الى الدموع والزفير والتنهيد !...

خرج ذات يوم ليروح عن نفسه فى حديقة القرجانى وهى اقرب حديقة لحومته ، وكان الجو كئيبا يبعث السامة فى نفس رحومه ، وارسلت الشمس شعاعها الحزين فى أرجاء الحديقة فازداد رحومه كآبة ويأسا وكان قد أخذ معه كتبه ليحضر دروسه وظهر قذر اللباس ، رث المظهر ، لم يعد يتكلف الاناقة او يتصنع الاحترام ، واهمل هندامه وجعل يهتم بقراءته . وقبل ان يشرع فى تحضير دروسه ، القى نظرة خاطفة على المارة ... وفجأة ما الذى رآى ؟ ما الذى جلب نظره ؟

انها سعاد ! نعم انها مصحوبة بشاب أنيق محترم ! انه خطيبها !

فكانت الصدمة العنيفة لرحومة . ولم يستطع أن يمسك سيل دموعه المنهمرة ، فترك لها العنان حتى جعلت تتساقط أحر من الجمر ، واستولى عليه اليأس فنظر الى سعاد نظرة طويلة ، وبأرتباك عجيب أخذ كتبه وجعل يمزقها كلها وبعث بها مع الريح . ثم ارسل زفرة من فجاج قلبه وقال فى حسرة :

ـ ما عادش تصلح لى ها الكتب لاش كون باش نزيد نقرأ .

**بية النوري**

# إلى ســــــــافرة

شعــر : الهــادي مشكان

يا خصرها المحصور في الطـوق المـذهب
ياقـدها الممشوق . . . كم لي فيك مـا رب !
نفدَ التصبّر . . . ماعسى ( المحروم ) يطلب ؟ !

* * *

للّه سـرّ .. عنـد سـافـرة محجّب
ارجـوه كالمنهوك مـن عطش ومسغب ،
ما للأماني ؟ .. مالهـا تـدعو وتهرب ؟ !

* * *

يا طوقها المسحور .. مـا بالقلب اعجب
يرنـو اليك .. ويبتغي مـا منك اقـرب
هل وهمه المسحور يخشى مـا يُرقَّب ؟

* * *

يـا مشيـة خفّت عـلى القلب المعـذّب
يـا لاهتزاز الرّدف .. بالمهجـة يلعب
هل خصرها المفتول ... ام شمس ومغرب ؟ !

* * *

يـا سترة تزهـو عـلى الصدر المُقبَّب

اكرم بها من منبر ... والنّهد يخطب
قدني اليها ، فهي لي في الحبّ مذهب !

* * *

حَصَرَ الضّيـاءَ بـركنـه العطر المُرطَّب
وزوابـع الاغـراء في واديـه تصخَب
يا متلفي ... افديك من قاس ومذنب !

* * *

يـا موجـة اللذات... ما احـلى واعـذب
سحر عـلى سحر .. وإغـراء يُكهـرب
حيّـرت ظني ، ايهـا السحر المركب !

* * *

يـا وصلها المأمـول ، عن النفس تُطرب
يـا وعـدها المـرجـوّ ... حبّي لايُكـذِّب
يا سافر الوعـد المُحرَّم... جُـد وعذّبْ !

الهادي مشكان

# الخلخـــــال

« الى اقرعك بل الى كل أبطال قصصك أقدم هذا الزائر ٠٠، عفـوك ان كان زائرى ثقيـل الظل ٠٠٠ والعفـو ٠٠، من شيم الكـرام ٠٠٠ »

**قصة بقلم : رشيد الغالى**

كنت أحبذ قضاء العطل المدرسية بمنطقة الساحـل التونسى ، وخـاصة ببلدة طبلبه الجميلة ٠٠، طبلبه مسقط رأسى و٠٠ مهد تلك الايام العذبة٠٠، أيام الطفولة ٠٠٠

هناك يلذ لى المقام ويهدأ خاطرى وتسلس نفسى وتسكن الى طابـع حيـاة سكان هذه الجهة ٠٠٠

ولا أدرى ان كان مصدر هذا الشغف أو هذا الميل من وحى انتسابىالى تلك البلدة الصغيرة ، العذبة وانما الذى أعلمه أن مناخ هذه المنطقة دافىء ، لذيذ يختلف عن بقية المناطق ، لا أدرى ! ربما هذه العوامـل وغيرهـا هى التى تسوقنى الآن الى محطة السيارات لأغادر العاصمة متجها الى قريتىالحبيبة٠٠، لكم هفا ذكرها بذاتى ٠٠، ولكم أنتشى بأجوائها على بساطتها ٠٠٠

انها لا تعرف التعقيد ولا تفهم معنى « المشكل » وانما تساق الأشياء فيهـا سياقا عفويا وبريئا ٠٠٠

* * *

وقفت بنا السيارة فى « سوسة » عاصمة هذه الجهة فالتف حولها جماعة من القرويين حـاملين أدباشا مختلفـة اشتروها من هذه العاصمة ٠٠٠ وتهافتت الاصوات وتعالت باسماء مختلف القرى : قصر هلال ، طبلبة ، المكنين ،٠٠ فرد السائق عليهم بكلمة واحدة مقتضبة وجافة :

ـ تـونس ؟

فتقهقر الجمع وتسارعوا الى سيارة أخرى أتت من احدى القرى الساحلية القـريبة ٠٠٠

أما أنا ، فعلى أن أدفع الاجرة الى السائق ، وأن أبحث عن سيارة أخـرى تحملنى الى قريتى ٠٠٠

كان الطقس دافئا وكانت الحرارة الناعمة تتسرب الى الجسم فلا يحس الشخص بالملل وانما يشعر بفتور دافيء وبكسل لذيذ ٠٠، وأجلت نظرى فى المحطة ، فرأيت سيارة أجرة سوداء مقبلة ، والتفت الى الجمع المتكدس على طول الحائط فوجدته يتأهب للهجوم على هذه السيارة ٠٠، وفكرت «: كيف يمكنني الحصول على مقعد ٠٠؟ »

وتململ الجمع حول السيارة فى تزاحم وتحاكك ٠٠٠ ولم تمض لحظات حتى. رأيت « عم الحشايشى » ينبع من الجمع على قصر قامته ، ولكن برنسه شد بين أجساد القرويين فأخذ يصيح :

ـ تبشويه ؟ مشتقطعولى برنوسى ؟ تلكرهبه فارغة ٠٠؟ ولكن أحدا لم يستمع اليه ٠٠، فتململ وتحرك فى مكانه ثم انكمش بعد ما وضع رجله على أحد القرويين وجذب ذيل برنسه بشدة وهو يصيح :

ـ هالهم ؟ هالهم ؟

وما كاد يبتعد « عم الحشايشى » حتى قفزت السيارة لتترك كوما مضطربا من البشر ، فقهقه « عم الحشايشى » وهو يقول : ايه محلاها فيكم ؟

ثم أخرج محفظة نقوده الكبيرة وتناول منها قطعا من النقود وأخذ يعدها ولم يكد ينتهى حتى سمع صوتى :

ـ عاسلامة يا عم الحشايشى ؟

فرفع الى رأسه وحدق فى متأملا ، متعرفا :

ـ ولد سى محمود ؟

ـ عجب انسيتنى ؟

ـ الله يسلمك ، ماو المده طالت على وأنت اكبرت واتبدلت ؟

ولكن السائق تقدم منه راجلا وقطع مجرى الحديث :

ـ أيه ، هات ؟

فوضع « عم الحشايشى » فى يد السائق قطعا من النقود البيضاء بعد ما أخفى بعضها فى اليد اليسرى وقال :

ـ بر فيه البركه ؟

ـ اشنوا هاضومه ؟ أيا يزينا يا راجل ؟

ـ مانى نعرفك ؟ هاك ؟

وأفرغ النقود التى كانت بيده اليسرى ثم أردف يقول :

ـ بالحرام لا انزيدك فرنك ؟ والله شى ؟

وجذبني من يدي حتى ابتعدنا عن المحطة ٠٠، وطلبت منه أن نجلس معا في المقهى فامتنع ثم نزل عند الحاجى ٠٠٠ وأخذنا نذكر تلك الايام العذبة التى قضيناها معا وأنا طفل صغير ٠٠٠ فضحكنا كثيرا ٠٠، واستدرجته بالحديث الى أن كشف لى عن سبب مجيئه الى « سوسة » فقال لى :

ــ ابربى خلي أكاكه ؟ ماى المرى عندى غضبت توه عندها اثلاث شهر٠ ولما حبيت انرجعها شرطت خلخال ذهب ؟

ــ خلخال أذهب ؟

ــ امالا ؟ العزايز اشيعملوا ؟

وتمادى فى الحديث شارحا كيف أنه اشترى فى الاسبوع الفارط الخلخال ولكن زوجته ، عندما لمست استجابة زوجها لطلباتها « حلت فى العريض » الى درجة أن انفعل « عم الحشايشى » وأقسم ان يرجع الخلخال الى اليهودى « حيوم » الذى اشتراه منه ٠٠٠

ولما أدركت أن زوجها مصمم على استرجاع الاموال التى انفقها فى اشتراء الخلخال عادت لتطلب العفو والصفح فقبل ذلك ٠٠، وختم حديثه قائلا : عادهانى جيت باش انردو على يمينى ؟

وصمت « عم الحشايشى » بعد ما نكس رأسه مفكرا ، فبدا لى هذا الرجل كما عرفته منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، فلم يتغير كثيرا الا فى لون شعره الذى ابيض قليلا ٠٠، فهو لا يزال قصير القامة ، عريض الكتفين ، مفتول الساعدين ، ممتلئا ٠٠٠

ورأيت يده تتحرك ببطء الى شاربيه الطويلين وتأخذ فى فتلهما بحركة هادئة ٠٠، رتيبة ٠ ثم رفع الى رأسه وقال :

ــ تعرفش كيفاش ؟ نمشيو اجميع للبركه ٠٠٠

كانت خطته ترمى الى الايقاع باليهودى « حيوم » ٠٠٠ طلب منى أن أرافقه الى دكان الصائغى وبعد ما يرجع الخلخال ، أتقدم أنا لاشترائه بعد المساومة ٠٠ ولعلى أتمكن من تخفيض السعر من 120 دينار الى ٠٠٠

وأخرج من جيبه موسى ورسم فى داخل الخلخال خطا رقيقا غير بارز ثم قال لى :

ــ شوف اتنجمش اتنحيلو لقلوقة ؟ الخلخال هاوينه امقمر بالحبشه ؟

وكأنه ارتاح من عبء ثقيل فتململ على كرسيه وأحكم وضع البرنس وسوى شاشيته ثم أخرج علبة سجائره وقال :

ــ نبرملك سويقرو ؟ معادش الصغير توه انت ؟ أيا ماتحشمشى فرفضت شاكرا ٠٠، وبقيت أتأمل أصابعه كيف أنها تأخذ كمية التبغ وتضعها فى

الركن الاعلى من الورقة الرقيقة البيضاء ثم تجذب بعضها الى الاسفل ، وبحركة ماهره يخرج لسانه ليمر على احد جوانب الورقة ويسرع ليلف الكل ٠٠، وتخرج السيجارة غير مستوية الحجم٠٠، الاسفل ضخم و « المبسم » رقيق٠٠، وماكاد ينتهى حتى أخذ يلم بيده الخشنة ما تلاشى من التبغ على ذيول برنسه ٠٠،

وما انتهى من تحضير السيجارة حتى قال لى :

ــ حقه ؟ انتومه تتكيفو المبروم ٠٠ الليكس ؟

* * *

فى كل المدن التونسية نجد المدينة منقسمة الى قسمين بارزين يختلفان كل الاختلاف ، فهناك القسم العتيق أو « البلاد العربى » الذى يرجع تاريخ تأسيسه الى أكثر من خمسة قرون وهناك القسم الحديث أو الحى الاروبى ٠٠٠

وسوق البركه فى سوسة يوجد على ربوة فى الجهة العليا من المدينة العتيقة ٠٠٠

ودخلنا الى سوق « الربع » التى لا بد من اجتيازها للنفاذ الى سوق البركة ٠٠، وأردت أن أقف قليلا أمام المعروضات المحلية ولكنى لم أجد بماذا أبرر وقوفى لعم الحشايشى ٠٠، وهكذا تباطأت رجلاى فتخليت عن مسايرته ولما فطن الى ذلك التفت الى وقال :

ــ اشبيك يا بو الركايب ؟ عييت ؟

ــ لا ياعم الحشايشى ؟

ــ شى انتومه ؟ ببوش بومصه ؟ اتحنا كنا انسافرو لتونس على رجلينا أو على الكريطة ؟

فلم أجد بماذا أجيب ، وحاولت أن أقول شيئا ولكن البريق الذى انطلق من عينيه لفت نظرى وجعلنى اتجه اتجاهها ٠٠، كان هناك سواح المان ، وكان فى الجمع نساء وصبايا جميلات ، وبدا ان عدد الصبايا يفوق عدد الرجال خاصة وان لباسهن الصيفى ، الساطع الالوان ، الذى يكشف مفاتنهن جعل « عم الحشايشى » يمعن النظر فى هذه الاجساد العاجية ، وتثار فيه الرغبة المجنونة ويقول :

ــ مل دم امخلط بالجير ؟ اشيكونو هاكم !؟

ــ سواح المان ؟

ــ مزالت كان الشاشية محاوكوناش فيها ؟ أتوه تغلى !

وكان يقصد بعضهن وقد اشترين شاشيات ووضعنها فوق رؤوسهن فى شىء من الدل والاغراء ٠٠، قلت له :

- اشقولك فيهم ؟
- ملا أراخي ؟ لكن اذكرهم اقليل ؟ اشيحبلهم هاجنابي
أوحتى مكلت ارجالهم باردة ؟

وضحكت ، وقهقهت لطرافة لفظه ..، وتابعنا سيرنا ... كانت عيناى تنتقلان فى مختلف المعروضات التى وضعت أمام الدكاكين أو التى شكت على الحائط ورغم عـدم تناسقها فانها لا تخلو من جمال ..، وأحسست ، فجأة ، بشىء يشبه الهدوء ، ورفعت رأسى فرأيت السقف الممتد على كامل السوق فتذكرت أشعة الشمس ولاحظت هذه الصفرة التى تعلـو وجوه الباعـة من تأثير هذه الظلال الداكنة ..، ومن حين لآخر يطرق سمعى صوت أحد الباعة متلطفا : هيا اتفضل ، عندنا كل شىء ؟

* * *

..، وقف « عم الحشايشى » فجأة ثم قال لى : هذا هو سوق البـركة ، الباب هذا يفصل بين السوقين ؟

ثم انطلق الى دكان « حيوم » اليهودى ..» وأجلت نظرى فى هذه السوق فوجدتها لا تختلف فى بنائها عن السوق الاخرى ، فجدرانها قميئة ، متصلة أو متداخلة ، يعروها احديداب بارز ، كما يميل لون جدرانها الى صفرة ذاهلة. أما الباب فهو خشبى من الطراز الشرقى العتيق ، قـد رصعت عـلى سطحه مسامير نحاسية لها شكل مثلث ناتىء ...



كانت رائحة المساحيق المعدنية التى تغمر السوق تبعث على الانزعاج ولكن منظر الدلال المتجول صرفنى عن الشعور بهذا الانزعاج ...

كان شيخا يناهز الخمسين نحيل القوام ، كبير الانف ، على رأسه شاشية بارزة بالرغم من أنها لا تخفى الا قمة رأسه البيضى الشكل ..، أمـا عينـاه بارزة بالرغم من أنها لا تخفى الا قمة رأسه البيضوى الشكل ..، أمـا عيناه فهما لا يتحركان، لهما لون أغبر يميل الى صفرة خفيفة لماعة ..، كان متوسطا أنهج مادا ذراعيه أمامه وقد شكت فيهما خلاخل وحلى أخرى ، ومن حين لآخر يقول بصوت متهدج : 306 ... 306 ...،

وما كاد يقترب منى حتى تقدمت اليه سائلا :

- قداش يسوى هالخلخال ؟

فلم يبد حراكا ولم ينظر الى بل لم يغير أى شىء من ملامحه ولم يزد على أن قال : 306

فأجبته : اشنوى 306 ؟ فقال لى : القرام ؟ - وحاد عنى متابعا سيره . كان يتحرك ببطء وبخطوات متساوية لا تفوق احداها الاخرى فكأنه آلة ميكانيكية لا تتصرف فى حركاتها وانما هى تحت مشيئة شحنة حركية مقدرة وموزونة ومسخرة . ورأيته يقترب من أحد الدكاكين ويقف قليلا ، ثم يعود الى منتصف الطريق وتنفرج نبرات صوته عن : 307 ..، عوضا عن 306 ...

واستبطأت « عم الحشايشى » فدنوت من دكان « حيوم » فسمعت « عـم

الحشايشي » في عربدة وصياح ، ووعيد ، يقسم ويهدد ...
وما زلت أفكر في طريقة تمكنني من الاتصال « بعم الحشايشي » حتى فوجئت به يبرز من دكان « حيوم » وهو يلعن « الصايغية واليهود » وبادرني بقوله :

ـ شفت هلكلاب ؟ انكرني وولى ما يعرفنيش ؟

هاك اقرالي هالورقة ؟

ومد الى توصيلا ينص على ان «عم الحشايشي» له بذمة «حيوم» 120 دينارا.
قلت له بعدما قرأته :

ـ هذا توصيل ؟

ـ قالي ارجعلي لعشيه خوذ افلوسك واعطاني هلكاغظ ؟

ـ باهي لعشية نرجعولو .

ـ توه انت امشيلو وقلو اللي لعزوزه اشتهات خلخال عاد هاك جيت اتلوج على خلخال باهي ؟

ـ حاضر ؟

* * *

دخلت الى دكان « حيوم » فرفع الى حاجبين كثيفين وبرقت عيناه الجاحظتان تحت نظارتين تراقصتا على انف ضخم ثم انفرجت شفتاه الغليظتان على :

ـ اتفدل يا ولدي استحب ؟

قلت له : انحب نشرى خلخال للعزوزه ؟

فقال لي : استحب حازه باهيه أو سيقونده ؟



فقلت : هات وريني وانقلك ؟

كان شيخا في الستين من عمره ، ضخم الجسم ، منتفخ البطن ، جالسا أمام مكتب خشبي عليه ميزان وبجانبه خزينة من الفولاذ قد علق على بابها مفتاح نحـــاسي ...

وفتح الخزينة وأخذ يعرض لي مختلف الانواع ..،

ـ سوف هالدمعه ؟ ومد لي خلخالا مزركشا ، بديعــا ... واختلفنا في السعر ، الى أن عثرت على خلخال « عم الحشايشي » وطال الجدال في المساومة وتسابقت الايمان ، الى أن تمكنت من تخفيض سعره من 120 دينار الى 115 دينارا . ودفعت عربونا على أن أعود بعد الزوال وأدفع البقية ... ولا يمكن لي أن أصف فرح عم الحشايشي عند ما أعلمته بالخبر ، وأقسم أن أتعشى معه غدا في منزله ؟ فقبلت ...

* * *

وجاء الموعد المحدد ..، وسبقني « عم الحشايشي » بعد ما طلب مني أن أدخل عليهما في الدكان ...

واستقبلني « حيوم » بثغر باسم ، واسترق الى عم الحشايشي نظرة باسمة وقد أبدع التمثيل ٠٠، واعترتني نوبة من الضحك لم أجد لها مبــــررا ٠٠٠

وفجأة دخلت امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها على وجهها مسحة من الصرامة والتهكم الخفي ، ثم جلست بدون أن تتكلم أو يسمح لها بالجلوس٠٠، وحدجها « حيوم » بنصف نظرة ثم قال : آيه زبتس ؟

فتململت المرأة ثم أخرجت يدها وألقت اليه بلفة من الاوراق المالية ، فالتقطها « حيوم » وسرعان ما تصفحها ثم أشار الى ابنه أن يناولها قضيتها » ٠٠٠ فأخذتها وخرجت ٠٠٠

فقال عم الحشايشي : هاكي خلايت الديار ! اتلم وتجيبلك ٠٠٠

فلم يرد عليه اليهودي وانما التفت الى وقال : أيه هات البقية ؟

فصاح عم الحشايشي : تيا لفنا يا سي حيوم ؟ فقال له : في عقلك يا سيدي ؟ فانفعل عم الحشايشي وصاح : بالحرام اللي ما ناخو امتاعي قبل ؟ الدنيا بالوجـوه

فقاطعه حيوم :

ـ اسكت ؟ اسنيه هالزنزانه ؟

ـ امليـــح ؟

وقذفه بالاوراق المالية فارتعش « عم الحشايشي » بعد ما التقطها ثم انساب على اليهودي بالسب والشتم ، ولا أدري كيف انزلقت الدراهم الى جيبي وانما الذي أذكره هو أن عم الحشايشي اتهم اليهودي بصياحه وبثرثرته الفارغة التي لا أصل أو مسبب لها ٠٠٠

وتمكنت من أن أتظاهر بالجد ، وأعد الدراهم ورقه ورقه وأقدمها الى اليهودي كما أفرط عم الحشايشي في تكلف الانفعال وشدة التوتر ٠٠، وفجأة ، وكأن شيئا لم يكن ، التفت الى عم الحشايشي ومد يده مصافحا :

ـ ماكش ولد سي محمود ٠٠؟

ـ نعم ٠

ولكن فرحه المكشوف جعل اليهودي يشك في أنها خطة مرسومة نجحت ٠٠، وأخذ الحشايشي الخلخال وقلبه ثم التفت الى حيوم وقال له : مش هذا اللي بعتهولي ؟ ولكنه لم يجبه وقد قطب حاجبيه وتحرك كالدب الشرس وصعق : أخرجو علي يا شيادي ؟ فقال له الحشايشي مقهقها : الجره جات قدك المره هاذي ؟ شفت الرجال اش تفعل ؟!

ثم التفت الى وقال : نشهدلك يا رجال ؟ وقهقه في غمرة من الحبور العميق ٠٠، وغادرنا البركه وهو يقسم أن يدفع هو ثمن قهوتين ٠

**رشيد الغالي**

# الدرب الطويل ....

شعر : ابن الواحة

.... وأسير ، حيران الخطى في الدرب ، في الدرب الطويل،
والليل حولي حالك ، متجهم ، عات ، مهول،
الريح تلسع جبهتي ، كالجن ، مرعبة العويل،
والسحب تلتهم السما ، سوداء ، تبتلع السبيل،
وأنا هنا ، متعثر في خطوتي ، سيري ثقيل ...

* * *

رباه ! مالي تائه في عالمي ، رهن المصير ؟
اسعى الى امل تلونه الاصائل والبكور ،
أمشي فلا القى سوى وهم تبعثره القبور ،
بؤسي يحدق قابعا ، كالشيخ ، لاشته الدهور ،
ربي ، تعبت ، وآدني صبري وحرماني المرير ،
ما الصبر ؟ قد مات الرجاء ، ولم أصل ، دربي عسير،
والشوك يؤلم أخمصي ، والناتئات من الصخور ،
وأنا أدب تحاملا ، متعثرا ، مثل الضرير .....

ع. ع. ابن الواحة ...

# من مشاكل التعليم - أيضا -

**بقلم : صالح بشير**

**لكل** جيل من الاجيال وفي كل مرحلة من مراحل التطور البشرى مشاكل وصعوبات يجب أن تدرس بكامل الاهتمام اذ لا يلزم أن تؤخذ الامور على هين فلا بد أن نتناولها بالبحث الدقيق وأن نغوص بالمشكل الى الاعماق ففى ذلك وحده تكمن الحلول التى يصاحبها بعض التوفيق الذى يحظى ببعض الـرضا ٠

اننا فى تعليمنا تعترضنا مشاكل وهى من نوع خاص وليس وجودها من قبيل الصدفة أو انها حدثت بالعرض وانما هى من صميم حياتنا الثقافية ووجودها أمر طبيعى لانه مرحلة من مراحل تطور التعليم ببلادنا ٠ فان نحن غفلنا عنها ولم نثرها ثم لم نضعها موضع النقد كنا مقصرين ومهملين لشأن التعليم ببلادنا وحاشا الذين يؤمنون بمستقبل هذه البلاد ويعتقدون فى فعالية الانسان أن يركنوا فيخدعوا أنفسهم بما يحاولون من ايجاد تبريرات لا تستقيم ابدا فيهربون من مواجهة المسائل التى يجب ان يواجهوها بقوة لا شك ـ وهذا واضح جدا ـ اننا نهرب ونحاول أن نخلع عن أنفسنا المسؤوليات ٠ واذا نحن تساءلنا عن سبب الهروب هذا أو عن معنى الهروب فلا نرى تفسيرا له الا ذلك الخوف ٠ وهنا يجب أن نسأل أنفسنا أيضا لماذا نهرب ٠ ومم نخاف ٠ أنخاف من المشاكل ؟ وهل هى من الكثرة بحيث تزعجنا ؟ أم ان مجرد طرقها يحرجنا ويحدث لنا مزالق لا نقدر على السير فيها ٠ ان الخوف ليس دائما خوفا مما ذكرنا ٠ فان مصدره قد يكون استعدادا نشأنا عليه ٠ فان كان هذا فاننا نشعر بازائه بالاسى حيث لا نكون الا أشخاصا مترددين حيث يصبح التردد خلقا وجبلة فينا ٠



الواقع اننا نتردد كثيرا فى مسائل تتعلق بالتعليم وتمس رجاله ٠ وان الذى يقلقنا أكثر من غيره فى مشاكل التعليم هو التردد نفسه واننا نشفق على أنفسنا منه لكن اشفاقنا على التعليم لا يقارنه اشفاق ذلك ان أمر الذات لا يهم الا الذات أما أمر التعليم فنحن رجال التعليم خاصة من نحمل عبئه ومسؤولية التطور به فى مراحله الطبيعية التى يلزم أن يقطعها بالنسبة للجيل الحاضر ولما سيأتى من الاجيال ٠ ومن أجل ذلك فهو يشغل بالنا كثـيرا ٠

ان تعليمنا اليوم له ظروفه الخاصة ، فمنذ الاستقلال وهو يمر بازمة لم تصل بعد الى الحل ٠ كلنا يعرف هذا ويشعر شعورا كاملا به ويدرك ان التعليم لا يمكن أن يبقى كما كان فى الماضى ٠ لكن يسيطر علينا القلق فى مستقبل التعليم حيث لا نرى بوضوح ماذا يمكن أن يكون فى المستقبل ٠ اننا لا نستطيع أن ننكر ما حدث من تغييرات هامة جدا من أجل اصلاح

التعليم ، نكن الذى يبدو ان نظام التعليم ما زال تائها يبحث عن نفسه لم يكتشف بعد القاعدة التى يجب أن ينطلق منها والتى يلزم أن يكون الاساس لعملنا الذى نريد أن نشيده فى ميدان التعليم ٠

واذن فما هى هذه القاعدة ؟ وما هو هذا الاساس الذى نريد ان يكون نقطة انطلاقنا وفهمنا لمشاكلنا ؟ ان ذلك يصبح واضحا جدا بنوع بسيط من التحليل ٠ فالتعليم صورته مثل أعلى يسعى الى تحقيقه ومادته هى هذه الاجيال من التلاميذ ورجال التعليم الذين يعملون على تجسيد المثل الاعلى ٠ وهذا يعنى ان المسألة كلها تدور حول المثل الاعلى أى حول الهدف من تعليمنا واتجاهه ٠ وبكل صراحة اذا نظرنا الى تعليمنا وأردنا أن نبحث عما يبحث عنه من المثل نلاحظ ان كل تعبير يخوننا من أجل ما يتصف به من غموض ان لم نقف عن التناقض فيه ٠ اننا ننظر فى البرامج المقررة ونحاول أن نفهمها ٠ كما نحاول ان نفسرها بحسب ما يتلاءم ووضعيتنا ثم آخر الامر نحاول أيضا أن نغتصب من أنفسنا تبريرا لها لكن مع كل ذلك لا نشعر بالارتياح والاطمئنان نحوه ولسنا فى حاجة الى التعرض الى جزء منه لتوضيح ذلك أو لنبين ماذا كانت نتائجه ٠

حقيقة ان هذا البرنامج هو برنامج اصلاحى أتى ليحل محل النظام التعليمى السابق الذى بعضه يحقق الهدف والمثل الاعلى للاستعمار وبعضه الآخر جمد عند الاهداف القديمة لعصور خلت لا تتناسب مع ما نرجو أن يكون عليه من تقدم ٠

لكن الملاحظ ان هذا البرنامج كان يستند فقط الى النظريات لا الى التجارب الحية المنتزعة من خبرات رجال التعليم ، ثم بالتالى الى سلطة القرارات ٠ لذا لم تكن له الفعالية المطلوبة ٠ والذى لا شك فيه الآن ان المعلمين يتساءلون وبقلق باد عن المجهودات التى يبذلونها كما يتساءل الاستاذون بنفس الالم عن المجهودات نفسها أى أنهم يتساءلون عن مصير الثقافة فى هذه البلاد ٠

الواقع ان المسألة لا يمكن أن تحل بالاستناد الى النظريات ولا الى سلطة القرارات فكيفما كان الامر فهذه لا يمكن أن تكون لها الكلمة الاخيرة ولا يمكن أن تحتل حيزا فى الخارج الا اذا عززها من كلفوا بتطبيقها بتأييدهم ٠ فاذا كان من يبعث فيها الحياة لا يقبلها الا على مضض فانها لا تكون ذات فعالية ونتائجها تكون حتما هزيلة ٠ ان هذا يعنى بكل بساطة ان القرارات أو البت الادارى لا قيمة له اذا كان الاقناع غير متوفر وان اصلاح التعليم لا يلزم أن يأخذ صورة قرار بل يجب أن يكون شيئا نرغب فيه ٠ وهذا لا يمكن أن يكون الا اذا كان من عمل رجال التعليم الذين يدعون الى تنظيمه وبهذا فقط تتوفر له كل الاسباب الطبيعية التى تمكنه من الظهور بكيفية تبعث على الثقة فى مصير الثقافة وفى المستقبل الذى نريده ٠

**صالح بشير**
ليسى المنستير

# حكاية قلب

**شعر : علي خشارم**

سدى نلتقى ..
سدى يحتوينا طريق معا
سدى نذرف الأدمعا ..
فهل تعلمين ..
بأنى لست الفتى المنتظر ؟
وهل توقنين ..
بأنك لست سوى عابره ؟
بدرب حياتى ..
كطير غريب يمر ..
كضوء ضئيل سينأى بعيدا وراء الافق ..
فقولى فتاتى :
ترى أى نفع لهذا اللقاء الأمر
وماذا سنجنى ؟ وماذا نريد ؟
ونحن غريبان عن بعضنا ..
بهذا الوجود ..
ونحن غدا نفترق ..
ويمضى كلانا يتابع دربا جديد ..

◆ ◆ ◆

غدا نفترق ..
أجل .. يا رفيقه
فكل الظواهر تشهد
وتمضى تؤكد
وتمضى تقرر مر الحقيقه
وتعلن للكون أنا انتهينا
وأنا طوينا
سجل علاقاتنا المشرقة
ولم يبق بين يدينا :
سوى حفنة من رماد
وأغنية مرهقة
فأين ابتساماتنا ؟
وأين البريق بأحداقنا ؟
وأين الحنين بأعماقنا ؟
أياتى الفناء المريع
على روض أحلامنا
فيمضى به دون أدنى رجوع ..؟

◆ ◆ ◆

غدا نفترق ..
لماذا ارتعشت ؟
وحلقت فى عالم آخر ..
ألست أرى « الخاتم الاصفرا »
بأصبعك الايسر
يطل على
ويرمقنى هازئا ساخرا
ويصرخ فى :
الام البقاء ..؟
الام البقاء ..؟
غدا .. نفترق ..
ولكننى يا رفيقه
برغم الصراخ المرير
برغم النداء الجهير ـ نداء الرحيل
فمازلت ألمح فى مقلتيك
رجاء الكنار الاسير

وأحـلامه الكاذبة
فـلا تسأمى !
غدا تنعمين بفارس أحلامك الضامئه
وقـد تعشقينه
وتنسين كل علاقاتك « الخاطئة »
وكل حكاياتنا الدافئـه ..
وأمضى أنا فى طريقى أسيـر
أجـر الخطى متعبـا ..
وبين ضلوعى فؤاد محطم ..
وملء دمى نغم مضمحل
شقى الرنين .. ممل ..

* * *

سأمضى ..
وفى مقلتى شرود الضحايا
وفوق جبينى سحابة صمت
تخط سطور أساى
وتحكى حكاية حب غريب
حكاية قلب رمتـه البلايا
بسهـم ضروب
فأمسى شظايا .. شظايا ..

**عـلى خشارم**

# من هذر الحديث

بقلم : **البشير الزريبي**

ــ فيـم حيرتـك ؟

ــ انـه لشيء مؤسف !

ــ فيما أسفك يا صاح ؟

ــ تقلبات الناس وانتكاثهم للعهود .

ــ هذه قضية ابتدأت مع الاجتماع وأظنها لا تنتهى الا بانتهائه .

ــ كيف ؟ أما آن للثقافة والتقدم العقلى أن يزيل هذه الوصمة ويبيد هذا الخلق الوبيء ؟!

ــ أى خلق تعنى ؟

ــ هذا التـلاعب بالذمم ، هذا التنكر للمواثيق ، هذا التهـاون والازدراء بالقيم الانسانية السامية .

ــ انني ما استطعت حتى الآن فهم مقصودك هلا ابنت بربك ؟

ــ قر قراره بالامس على رأى وحسن الى معتقده ذلك حتى دنت به وآمنت ثم هو ذا اليوم أراه متنكبا عما قال وعما حملنى على الاعتقاد بصحته .

ــ التغير طبيعة الاشياء المادية فما بالك بالانسان فهو بطبيعته قلب متحول فما استغرابك أتريد من الاشياء نقيض سجاياها ؟!

ــ أبدا ، المسألة مسألة مبدأ ، والتمسك بالمبـادىء أهـم مظهر للانسان المتطـور المتقـدم .

ــ صحيح ما تقوله الى حـد . ذلك ان العواطف التى تربطنا بالاشخاص أو المبادىء ليست هى الا عادات وجدانية تجعلنا نرغى ونزبد ، نثور ونمور ، نتمسك بمـواقف الانتصار أو الاستصغار فى شيء من ثبات الاتجـاه ودوام الاستجابات فى نوعيتها وطبيعتها ولكن موقف صاحبك منك هو موقف متأمل أو مفكر انتهى به تفكيره فى مسألة ما الى رأ . ثم ما لبث ان اكتشف له سوء تدبيره فأقلع عن الخطل وضرب برأيه السابق عرض الحائط ودان بما بدا له فيه سداد ووجاهة ؛ ألم تر حينئذ كيف آخذت محدثك عن اثم توهمته وعبت فيه منه الروية وصفاء الالمعية !؟

ــ كلا لم أر فيه شيئا من ذلك .

ــ كيف ؟ اقصص على من خبرك مع هذا الصديق ؟

ـ قال بالامس ان المرأة المثقفة وبال على زوجها وعلى أطفالها ، على خدمها وذويها ، على معارفها وعلى كل أحد ، ثم هو ذا اليوم تقدم من خطبة فتاة مثقفة ذات باع وسمعة ثقافية ، ألم تر فى هذا تلاعنا وتضاربا فتنافى مع ناطقية الانســـــان ؟

ـ أبدا ، ليس فى هذا تلاعن على ما يبدو لى لان موقف صديقك هذا يتأتى تخريجه على وجهين اثنين : اما انه عدل عن رأيه الاول عند ما بدا له سوء ما ذهب اليه من رأى متعصب جاف أو انه ما زال على رأيه ذلك وكثيرا ما يناقض فعل المرء معتقده ٠

ـ وماهذه الا أشنع من أختها ٠ أنت تذهب وتجزم بأن معتقد الانسان يبتعد عن تصرفاته وبوادره فالواقع ان هـذه البوادر ليست هى الا انعكاسات لذلك المعتقد المستتر وراءها ؟

ـ نعم المعتقد الانسانى هو الموعز بالمواقف والمملى للبوادر ولكن ذلك فى البيئات الانسانية التى ضربت مثلا أعلى فى تنشئة الفرد على الصراحة والاخلاص للذات ضمن الاخلاص للآخرين ٠ اما فى هذه الاوساط التى نشأت بينها فقد دأبت على أن تعامل محيطيك بما يريده وبما ينتظره منك وانك لنشأت عـلى تلك السنة بحيث تخفى ذات نفسك خشية العقاب وخوفا من الجزاءات المؤذية للاجسام والارواح ٠



ـ انـك تعنى بهذا تعارض الاقـوال مع الاعمال وتصر عـلى معقولية هذا التعـــــارض ؟

ـ نعم ـ بكل الاصرار ـ لئن كان فى ذلك خطأ ٠ فوزره على الموجه أو الراعى الاول ٠ فهو بضغطه وبالمخاوف التى تفنن فى وسائل استثارتها كان دفعنا وسط هذه الثنائية المشينة فى نظرك ولربما فى نظر صاحبها نفسه ٠

ـ المخاوف ، وما دخل المخاوف ؟

ـ هى المخاوف التى تملى عـلى الفرد منذ فجر حياته النـزول عند ارادة البيئات الانسانية التى ضربت مثلا أعلى فى تنشئة الفرد على الصراحة والاخلاص أن تمليه ذات صاحبه وارادة صاحبه وتفكير واقتناع صاحبه ٠

ـ تريد بهذا تعليل النفاق الاجتماعى بمواقف تربوية نابية من حيث أنها كانت تثير فى الفرد قآتم الانفعالات الامر الذى يملى عليه مجاراة البيئة فيما تريد دونما وعى أو اقتناع ذاتى ؟

ـ بكل تأكيد منذ ذلك العهد المبكر فى حياة الانسان يأخذ المرء فى التعود على ما أنت مؤاخذ به صاحبك ٠

ـ معنى هذا ان أولياء الاطفال لو شجعوا أبناءهم على ابداء آرائهم والاصداح بها كيفما كانت لكان ذلك أدعى لفهمهم وللتأثير عليهم بحيث يفعلون ما نريده نحن منهم بالفعل وبضرورة الفعل رغبة وايمانا منهم كأن لو لم يكن لنا عليهم سلطان .

ـ هذا هو السداد وهذه هي الطريقة المؤدية الى تطابق الافعال مع المعتقد.

⁂

ـ جميل بك ان أزحت عن نفسي هذا الإشكال وهذا الاستفهام الغامض وانى لاستزيدك بيانا حيال طباع هذا الصديق فهو ان حدثني لم يرد ، ومن أين له أن يريد الاصغاء الى ، فهو كلف على الدوام بالحديث واللجاج في الحديث .

ـ لعله على علم واسع وثقافة ممتدة ؟

ـ نعم ، هو كذلك .

ـ اذا هو حرى بالعطاء ولم ير نفسه محتاجة للاخذ ...

ـ أفي هذا الصواب ؟ انني أعلم بأن المتعلم الحق تزداد معرفته بنواحي جهله كلما ازداد اطلاعه واتسعت مداركه بممارسة الحقائق . وحينئذ كلما كان المرء مثقفا كلما ازداد أو شعر بازدياد الحاجة الى الاصغاء والاخذ .

هذه مشكلة معقدة ولكنها صنوة لما كنا بصدد الحديث عنه ...

ـ كيف ؟

ـ من الناس من أهلته بيئته ليكون على أدب جم وعلى توازن تام في الحديث بحيث أعدته التربية التى تلقاها ليجيد فنون القول وليحذق طرقه المواضيع وخوض قضاياها ومشاكلها بنجاح . اما أن يلم الى جانب ذلك بمواقف الصمت والامساك عن الحديث فهذا ما لم يكن متفطنا اليه البتة .

ـ أيوجد للصمت حذق وتفنن ؟

ـ نعم ـ بكل تأكيد ـ فكما أن للحديث مجالات وفنون تناسبها كذلك للصمت مجالات وفنون والكثير الشائع ان أولياء الطفل كثيرو الاهتمام بتكوين الطفل ليجيد الحديث وقلما اهتموا باعداده ليجيد الصمت فيما يناسبه من مواقف .

ـ انني اعلم بان الحديث يحل المشاكل تارة ويعقدها اخرى اما الصمت فلا ارى به حلا للمشاكل ولا تعقيدا لها فالصمت هو الفراغ او لاشيء ؟!

ـ لا . لا ليس هذا بصحيح لانك قد تجد **كلاما صامتا وصمتا متحدثا** أفلا تؤمن معى بان المتحدثين من لا يفصحون الا عن الشغور الذى بافئدتهم والفراغ الذى بادمغتهم ، ومن الممسكين عن الحديث من كان من الايحاء الكثير والتأثير الوفير في من يحيطون بهم ؟!

ـ حقا كثيرا ما عشت هذه المواقف والغريب في الامر ان هؤلاء الصامتين كانوا ممن ينتظر منهم الكلام والتحدث الى غيرهم . وكنت أحسب بان كلامهم أفيد من امساكهم ، ولكنني الآن علمت بانهم في صمتهم كانوا متحدثين . وان ذلك لامر عجيب !

ـ لا عجب في ذلك ، اما علمت المثل القائل : « من كبر عقله قل كلامه » ؟

ـ ما معنى هذا الاثر فقد بدا لي في غموض ما ؟

ـ هو على التحديد يشير الى اولئك الذين تعمل عقولهم اكثر من غيرهم ، اولئك الذين ينهمكون في الغوص على الحقائق ولا يقنعون منها بالسطحي او الظاهري بل يتطلبون الامعان والاستكناه والتدبر الموصول . همهم في ذلك الكشف والاكتشاف وبالتالي المعرفة وبأوفق وأدق مما يعرف الناس ، ولهذا في التحدث الى الغير ضياعا لفرصة مواصلة البحث والامعان . فالحديث يلهيهم عن احب الاشياء الى انفسهم وهو التدبر وتدقيق النظر والامعان في الاشياء والاحداث .

ـ كيف ؟ ألم يكن الحديث مرآة للتفكير فهو حينئذ مرتبط به بل مواكب له قدما بقدم ؟

ـ الامر كذلك بدون شك ، الا ان الحديث غير التفكير وان ارتبط به والتزم به . فالمتحدث انما يريد ايصال ما بنفسه من القضايا والاحكام الى نفوس مستمعيه وفي هذا الجهد المبذول ما يضعف من طاقة الفكر ومن فعاليته على ما هو واضح، والرجل الصموت في الغالب يريد التمحيص لنفسه ولما ينعكس في نفسه من الامور ليدرسها الدرس الحق وليخرج من درسها بالنتيجة المثلى .

ـ اذا كان الحال على ما ادعيت فليس في الامساك عن الحديث حرمان بل متعة ؟

ـ وهو كذلك .. وأي متعة تضاهي سمو النظرة وعمق التحليل للوجود وللموجود من الاشياء والاحداث ؟!

ـ ولكنني افضل متعة الحديث احيانا ...

ـ لك ذلك فنحن باثباتنا متعة ورجاحة الصمت لا ننفي عن الحديث وفنونه المختلفة متعه الشهية ونكهه القوية . ولكل ميقات وظروف لا تصلح لغيره وهذا ما أردنا اثباته لديك على التحديد .

ـ نحن على هذا الرأي في وفاق مبين الا انني أتساءل ما الذي يجعل بعض الناس لا يترك فرصة ليتحدث اليه غيره ؟

ـ هذا أعضل الداء وابشع ما يصاب به خلق المرء ...

ـ لعل هذا النفر من الناس شديد الانانية يريد ان ينعم اكثر من محدثيه بمتع الحديث وبتصريف شؤونه

ـ هؤلاء هم الانطوائيون بحق لا يـريدون الحياة فى دنيـا الناس ولا فى العوالم الخارجة عن ذواتهم • تراهم كما لو لم تكن لهم حاسة السمع او بآذانهم وقر ، يوصدون من دون حديثك اليهم السمع والابصار وكثيرا مـا تراهـم يتحدثون فى شىء من الاسراع وفى غير مـا توقف والى مـا لا نهايـة ••• حتى اذا ما قاطعهم احد المستمعين كفوا عن الابصار وحركوا رؤوسهم ذات اليمين وذات الشمال وحتى فى شىء من الاطراق والتجهم استعدادا لاستئناف الحديث من جديد ومواصلة له فى غير ما هوادة او تؤدة •

ـ هم اجهزة مرسلة دواما واستمرارا ؟

ـ هم ان شئت كذلك •••

ـ وهل فى هذا شذوذ على ما ترى ؟

ـ لا شذوذ فقط بل تهيؤ مرضى قد يتطور الى تدهور عقلى يعرف بمرض الفصـام •••

ـ ولكنه لم يؤل باصحابه دائما الى هذا المرض الذى ذكرته ؟

ـ لا لزوم وقد تؤول بهم تلك الظواهر الى المرض



ـ اننى ارى فى المسألة اختلافا فى الامزجة والطباع فمن الناس من هو على حب للصمت ومنهم من هو على شغف بالحديث ؟

ـ المميز بين الطبع العادى والتلبس المرضى هو الافراط او التفريط • فقد تكون المسحة الغالبة على الطبع هى الحديث او الصمت ولكن الافراط المبالغ منه فى ذينك الموقفين ينم عن شذوذ بلة الاستعداد للمرض ان لم يكن المرض عينـه •

ـ آمنت حقا بما تقول وهل من توجيه لذوى الطباع والامزجة النارية فى أن يوطنوا انفسهم للاستماع مثلما هم على تهيىء للافضاء بمكنونات نفوسهم الى النـاس ؟؟

ـ نعم • نستطيع الاتجاه الى هـؤلاء بسوق هـذا التحليل للاحـاديث الاجتماعية • ان بالحوار الجدلى تواطؤا ضمنيا بينك وبين محدثك • هذا التواطؤ مؤداه انك تسمع ما يتحدث به اليك صديقك من رأى وحكم من ذكريات او برامج ، على ان تترك له فرصة مماثلة تمكنه فيها من ان يبثك هو الآخر رأيه وفكره ومكنونات وجدانه • وانه لمن جمال الحديث ان تتيح الفرصة لفهمك

ولافهامك ٠.وان تتيحها فى شىء من المرونة فلا لجاج ولا غطرسة ، ولا تزاحم او استئثار بالوقت ، ولا مجافات لللياقة والادب ، بـل ينبغى الايمان كـل الايمان بان الجدل والتحادث والحوار مجالات للفن بل هى الفن ذاته وانه لمن اجمل من يساق الى هؤلاء الذين تنكبوا عن جادة الـود من جراء اللجاج فى الحديث او الاختلاف فى الرأى قولة صدق آمنت بضرورة تنشأة الناشئة على احترامها اعنى بذلك تلك الحكمة البالغة التى تزعم بان اختلاف الرأى لا يفسد واولى به ألا يفسد للود قضية ٠٠٠

ــ نعم سوف اعمل على ان اتحدث وان اصمت ٠٠ هكذا بحيث لا ينسينى الحديث جمال الصمت ولا يغرينى الصمت عن سداد وجمال الحديث ٠٠٠

ــ هذا كل حصادك من هذا الحوار ٠٠ ان تقتنع برأى او ان تتحمس بوجهة نظر ولكن من اين لك معايير الصمت الحسن والحديث الجميل

ــ هلا ابنت عنها

ــ اواه ٠٠ لو استطعت لفعلت ٠٠ ولو فعلت لما انتفعت بذكرها ٠٠٠ لان تخير المواقف والاستجابات لها امر نتكون عليه ولا نلقن اياه بالوصايا والحكم والقـواعـد ٠٠٠٠



**البشير الـزريبى**

# مطالعات

## من تـاريخ الامثـال...

**بـقلم : محسن الحبيب**

قديما وحـديثا يعتنى الافـراد والجماعات بتدوين اخبـارهم ومشاهداتهم التاريخية ، ووقفاتهم الشعرية ، وخطبهم الحماسية .. تخليدا لمآثرهم وربطا للأعصر ببعضها لتكون الصلة وثيقة بين القديم والحديث والمستحدث ، واضحة المعالم فى تطورها ونموها ...

وكانت مشقة كبيرة تواجه هؤلاء الجامعين والمدونين ، لأنهـا كانت تعتمد قديما على التنقل لمشافهـة الناس ، واخذ الـرواية عنهم ، وقـد تيسر الجمع والتدوين الآن لتوفـر البحوث والكتب ... لكننا نسير فى جـانب من هذه التدوينات على النهج القديم ، معتمدين التنقل والترحال ، والاحتكاك بالأفراد لتلمس الاحداث منهم ، وما يدور على ألسنتهم ..



وتبدو هذه الظاهرة حية لازمة ، عند كل من أراد ان يسجل خواطر الجماعة وما تنطق به قرائحهم وما تعالجه مجالسهم .. ومن هنا يأتى عمق هذا المجهود والصعوبة التى واجهها اناس كثيرون فى كافة الاقطار العربية عندما درسوا امثال امتهم وشرحوهـا وبسطوا القـول فيها ، حتى تعمق بعضهم وربطهـا بغيرها او ارجع بعضها الى أصله العربى الفصيح ، وبين وجوه الشبه بين هذا وذاك من الامثال التى فصلت المسافات بين قائليها .

ولا يخفى ظهور بعض العيوب عـلى فريق من هذه المجاميع كالـتى أغفلت جانب شكل الكلمات وتحريكها ولم تتحر نطق الصوت والحرف اللازم نهجه عند تدوين هذه الاشياء . والامثال احدى ظواهر المجتمع فى عاداته وتقاليده ، فقيمتها التاريخية لا يمكن ان نتغافل عنها لأنها ولا شك تقدم الصورة الواضحة عن تفكير تلك المجتمعات وما يسودها من صور الحيـاة وسبل العيش ... وهى فى صيغها وألفاظها تبرز اتجاه الأمة ومعالمها اللغوية وتأثرها بالتيارات التى عبرت محيطها او غزت ارضها ، لهذا كانت الأمثال خاضعة لقاعدة التطور والاحتكاك فيموت بعضها ويحيا الآخر وقد يكون متغيرا متطورا ..

ومن هذه الناحية كانت دراسات الظواهر الاجتماعية جديرة ان تستند على هذه المجامع لتلم بالصورة الصحيحة لمجتمع ما .

وليس بدعا اذا قدم لنا مؤلف كتابا في الامثال ، فتلك سنة قد نهجها القدماء ابتداءا بالميداني في كتابه مجمع الامثال ، ثم سار القوم على غراره حتى العصور الحديثة التي شغفت بهذا الجانب المهم من تشخيص المجتمعات وتسجيل آثارها .

لكن من اللطيف ان يطالعنا كتاب الامثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي البغدادي الذي هو استمرار لقضية الجمع القديمة في صورة جديدة حديثة ،لقد كان المؤلف مسبوقا بعدة كتب كبيرة وصغيرة ضمت امثالا بغدادية واخرى موصلية وغيرها الا انه استفاد من سابقيه ايما استفادة ولاحظ جوانب الضعف التي ارتكبوها فتحاشاها ، كشكله لكلمات المثل ومراعاة نطقها الشعبي السليم والتعرض لتعدد رواياتها وشرحه للمعاني باللغة الفصيحة لتكون الفائدة أعم والمجهود أكمل وبهذا فقد طمس مجهوده الكبير خطوات سابقيه ، أضف الى ذلك نهجه القويم في تصنيف محصوله وتقسيمه على الحروف الأبجدية تسهيلا للباحث والمراجع ...

واذا اردنا ان نعرف مدى عمق هذا الجهد الذي بذله المؤلف في ابراز كتابه علمنا انه اهتم به منذ زمن بعيد وقد حدثنا في المقدمة انه ابتدأ الجمع سنة 1935 ثم ضاع محصوله هذا في مصر سنة 1939 ـ كشأن غالب المخطوطات ـ فأعاد العزم والجمع والاستقصاء حتى تكاثرت امثاله فبلغت ثلاثة آلاف مثل فبادر بطبع الجزء الاول منها ، وهو الذي ستحفل به المكتبة العربية بعد ايام..

وما خفي هذا العمل المثمر عن معالي الشيخ محمد رضا الشبيبي عميد رجال الادب في العراق ، فقدم الكتاب مقدمة مستفيضة قيمة تعرض فيها لعمق الامثال واعتناء العلماء بها قديما وحديثا لانها (عنصر من عناصر الادب وثروة لغوية كالشعر والخطابة وغيرهما من فنون الكلام) .

وأني أكبر الجهد اللاى بذله المؤلف في تخليد هذا الرصيد الهائل للمجتمع البغدادي بتدوينه ، مكبرا فيه تلك الروح الباحثة المنقبة التي دأبت على الدرس والمثابرة ففاضت آثارها في كتب كثيرة ومقالات عديدة وقصائد شتى..

ولا يسعني المجال هنا لذكر ولو نبذة قليلة من آثاره لان في ذلك تجنيا على

أدبه وهضما لحقه ، انما همى ان انقل اعجابى للآخرين بهذا الكتاب القيم الذى جاوزت صفحات الجزء الاول منه (الثلاثمئة صفحة) مع حسن التنظيم والتتبع الشامل للمعانى والتحرى العميق للموضوعات ، حتى بلغ شغفه الى مقارنة بعض الامثال ببعضها من كافة الاقطار العربية وذكر ما تشابه منها فى اصقاع اخرى ليقف عندها الدارس الاجتماعى يوما ملاحظا تشابه المجتمعات وتقاربها حتى فى امثالها العامية ولغة الافراد الشعبية ٠٠٠

اعترافا بفضل هؤلاء العلماء كتبت هذه الكلمة القصيرة المتواضعة ولقصد الاستفادة من هذه الخطوات الثابتة التى تعرفت عليها حبرت هذه السطور ، ثم لبيان قيمة هذا الجهد الذى يعتبره البعض شيئا بسيطا ماحق لاقطاب العلم ورجال الرأى ان يعالجوه ويجترؤا القول فيه ٠٠٠ وانى أومن انه جدير بالدرس والبحث والتسجيل وهو عمل جماعى كبير لا يستطيع خوض غماره الا من توفرت له ادواته العديدة الصعبة المنال ٠ واذ اقول هذا فانى اشير الى ذلك الاعتراض الذى وجه للدكتور الطاهر الخميرى فى اعتنائه بـ (قاموس العادات والتقاليد التونسية) ونشره حلقات مسترسلة فوق مجلة الاذاعة التونسية ، واملى متين فى ان يستمر الدكتور الخميرى فى جمعه وبحثه مهملا تلك الاعتراضات التى قد تكون البراءة دافعا لها او سطحية الرأى وسذاجة الحكم ، واتمنى ان يطلع الدكتور الخميرى على نسخة من هذا الكتاب ليتحسس خطوات غيره ، وهذا ما وعدنى به المؤلف نفسه من اهدائه نسخة له عند انتهاء الطبع ، وقد اورد اسمه فى مقدمة الكتاب من ضمن الباحثين الذين عنوا بمثل هذه البحوث ٠٠



واتماما للفائدة ليسمح لى الدكتور الخميرى بهذه الملاحظة البسيطة حول ما ينشر وهى أنه من الانجع ان يشكل الكلمات التى يستعرضها وكذلك الامثال التى يتطرق اليها ــ غالبا ــ حتى يسهل على التونسى عامة وغيره خاصة التلفظ بها على وجهها الصحيح ٠

**محسن الحبيب**
كلية الآداب ــ بغداد ــ
الجمهورية العراقية

# ندوة القراء

## رد ٠٠ على من قال معي (١)

نشرت مقال نحن ٠٠٠ والنحو العربي ، في مجلة الفكر الغراء (2) ، ولم أكن أحسب أني سأمطر بنقاط استفهام عديدة ، ومحاسبة « اعتبارية » مع خليط من الاعداد الكسرية والصحيحة. ذلك أن مقالي كان من الوضوح مايغنيني عن تلك الاستفسارات ، التي أوردها السيد محسن الحبيب في مناقشته و « محاسبته الكبيرة » لجوهر الامثلة التي أوردتها ، أو التي انبنى عليها المقال ٠

على أني كنت قد أوضحت ، أنه لكي ننجح في أمر تبسيط النحو العربي ، لا بد لنا من ان نتعرف على طبيعة ما نبحث فيه ، والفلسفة التي يستند عليها والتأثيرات المحيطة بالمشكل الذي نرجو ايجاد الحلول له ، باضافة أن النحو العربي يرتكز على مدرستين الاولى بصرية والثانية كوفية ٠

وكنت أحسب ان السيد الناقد ، قد أدرك رجعية وتزمت مدرسة البصرة وكفاني هذا العناء ٠٠٠ ذلك أنها مدرسة كلاسيكية كثيرة الاستطرادات والاساليب النحوية ٠ اما مدرسة الكوفة فهي تتماشى وما نسعى اليه من تبسيط للنحو العربي ، وبالتالي فهو « نموذج » لبناء متماسك الاطراف ، تسعى للنفاذ الى كيان اللغة ، والاكثار من الاستشهادات ، والامثال الموضحة، بعيدة عن المبادىء المجردة ، والمناقشات الجافة التي تواجهنا عند مدرسة البصرة ٠ وع لهذا رجوت أن نعتمد في محاولاتنا على المذهب الاكثر تحررا ، تماشيا مع روح العصر الذي نحياه ، وأما محاولة التوفيق بين المذهبين فامر يبدو من الصعوبة بمكان ٠٠٠

أما الامثلة التي أوردتها ، وكانت محاسبة السيد الناقد لي فيها جديرة بالاهتمام فحسبي أن أذكره الى أني تعرضت الى تلك الامثلة اعتبارا مني أنها « نماذج » لطريقة نحوية تبسيطية جديدة ، تبناها المشرق ، وهي محاولة « توفيقية » بين المدرستين العربيتين الكوفية والبصرية ، طبقت في بعض المدارس العربية في المشرق، الا انها لا تعتبر حلا نهائيا لمشكلة مازالت قائمة، وانما هي محاولة جديرة بالاهتمام

(١) راجع « الفكر » السنة 7 العدد 8 ص : 97

(2) راجع « الفكر » السنة 7 العدد 4 ص : 91

وأعيد وأكـرر لحضرة الناقـد المحترم ، أننى أحبـذ أن تكون انطلاقـة « العقول النيرة » لتبسيط النحو اعتمادا على مدرسة الكوفة ، انطلاقة تكون بعيدة عن ضيق أفق مذهب البصريين وتزمتهم ، ولا يكفى هذا ، فلا بد لهذه العقول النيرة أن تسبر غور اللغة العربية ، وتبحث فى فلسفتها وقواعدها ، وتعود بها الى أصولها العريقة ، ثم تكون عملية خلق النحو العـربى المبسط الجديد ، بالاستناد الى ما وصلت اليه « مدرسة » ثبت أنها قامت على فلسفة جديدة ، لتنسيق وتذهيب قواعد النحو ومسائله • أما أصحاب العقول النيرة، وأعود اليها مرارا ـ الذين ليس من العسير عليهم ـ فى زعمك ـ أن يستمدوا من المذهبين البصرى والكوفى رأيا وجيها ••• فلا احسبك تجهل ، أن محاولة الشرقيين فى المشرق ما هى من قبيل هذا الزعم ، بل أزيدك علما ، أن اعلام النحويين امثال ابن مـالك وابن حيان ، وابن هشام ، قد قامـوا بمحاولات للتوفيق بين المدرستين ، وللتقريب بين وجهات النظر ، والتخفيف من قيود البصريين وغلوائهم ، ولكن رغم كل هذا ، بقى النحو العربى الى يومنا هذا غير مبسط ومشكلة قائمة •

واذا شككت فى هذه المحاولات، فما عليك الا أن تنظر فى « منهج السالك » لأبى حيان ، و « الموفى » للكنغراوى ، واذا أردت أن تتعرف على قيمة مذهب الكوفة وتجديدهم للنحو العربى ، فادرس ما كتبه محمد بن أبى سارة الكوفى

هذه بعض ارشادات وايضاحات أقدمهـا لك لتستفيد منهـا أيها الناقـد المحتـرم •

**محمد الامين خـلفه**

# اضواء الفكر

## • حصاد الموسم التمثيلى

اظهرت الفرق المحلية نشاطا كبيرا خلال هذا الموسم ، واقبل الجمهور بجميع طبقاته اقبالا مشجعا ما عهدناه من قبل ، يدعو حقا الى التفاؤل فى مستقبل الفن المسرحى بالديار التونسية اذ بلغ عدد الحفلات التى قدمتها مختلف الفرق احدى وثمانين حفلة باستثناء حفلات الفرقة الجزائرية العتيدة (2) وفرقة الاتحاد العام لطلبة تونس (1) ، وذلك أمام 148 38 ناظر بدون اعتبار حفلات الفرقة البلدية المجانية ، وعدد المدعوين وأصحاب البقاع المحجوزة بالمسرح

وقد ضربت فرقة بلدية تونس الرقم القياسى فى النشاط اذ قامت باحدى واربعين حفلة بالعاصمة قدمت اثناءها احدى عشرة مسرحية منها ست مسرحيات جديدة (اى لم يسبق لها تقديمها) وخمس معادة من برامجها القديمة • ومن هذه المسرحيات سبع باللغة العربية الفصحى منها اربع مسرحيات تاريخية (زيادة الله الأغلبى للمرحوم خليفة السطنبولى ـ الكاهنة لأحمد خير الدين ـ ولادة وابن زيدون للمرحوم عبد الرزاق كاراباكه ـ اهل الكهف لتوفيق الحكيم) ومسرحيتان اجتماعيتان (اللص ـ وثلاث مسرحيات قصيرة لتوفيق الحكيم) ومسرحية بوليسية (فخ لرجل فريد لروبار طوماس ـ تعريب حسن الزمرلى) ومنها أربع مسرحيات باللهجة الدارجة المهذبة منها مسرحيتان اجتماعيتان (يا طبيب العميان من اقتباس البشير المتهنى ورجعت له عقله تاليف سومرست ماوم واقتباس يوسف وهبى وعنه اقتباس احمد خيرالدين) واضحوكتان بريئتان (الغيرة تذهب الشيرة من اقتباس الهادى العبيدى وسيدى حاضر ياشكابا تاليف راسين واقتباس البشير المتهنى اضيفت لها لاتمام البرنامج حادث المقهى تاليف كورتلين وتعريب حسن الزمرلى)

وبلغ عدد الوافدين بمقابل على هذه المسرحيات 581 16 (علاوة عن المدعوين والالفين الذين حضروا الحفلتين المدرسيتين المجانيتين)

وتجولت الفرقة داخل الجمهورية فقدمت حفلتين بصفاقس وحفلة بمنزل ابى زلفة واخرى بالمنستير •

وقدمت فرقة « أنصار المسرح » التى يديرها ويشارك فيها هواة حقيقيون اربع مسرحيات منها اثنتان جديدتان احداهما بالعربية الفصحى (شهرزاد لتوفيق الحكيم) والاخرى باللغة الدارجة (الشيخ زنزونة فى بنزرت ـ اقتباس الهادى القرجى) واثنتان معادتان كلاهما باللهجة الدارجة (الحاج كلوف فى الخلاعة لاحمد خير الدين وجميلة بوحيرد للهادى القرجى) وبلغ عدد حفلاتها 12 وعدد النظارة 5721 وجملة المداخيل 106 578 1

واما فرقة « المسرح الشعبى » التى اختصت بالمسرحيات المضحكة فانها قدمت خمس قطع فكاهية باللهجة الدارجة منها قطعتان جديدتان (اشكون يغلب النساء ـ اقتباس عبد السلام البش واحمد التريكى وسلطان للبيع اقتباس محمد بن على) وثلاث قطع معادة (الحاج كلوف فى الحمام لأحمد خيرالدين ورشاد وزينب اقتباس البشير الرحال وعشقة وعيطة فى دار الشيخ قرنيطة لاحد افراد الفرقة) وكان عدد الحفلات 18 وعدد النظارة 647 13 وجملة المداخيل 169 841 3

وقصرت فرقة « النهوض المسرحى » نشاطها على تقديم مسرحيتين احداهما بالعربية الفصحى (حنبعل لاحمد توفيق المدنى) والاخرى بالدارجة (مسمار جحا لعلى احمد باكثير نقلها للدارجة محمد الزرقاطى)

وقدم « قدماء مدرسة التمثيل العربي » مسرحية « فداء » لمحمد تيمور بالعربية الفصحى في حفلتين لم تنالا ما تستحقان من اقبال نظرا للمجهود المشكور الذي بذله افراد هذه الجمعية الفتية للقيام بعمل مشرف . فحضر الحفلتين 380 ناظر ولم تتجاوز المداخيل 268 66

واخيرا ظهرت في آخر الموسم فرقة فتية جديدة ـ النور المسرحي ـ قدمت مسرحية « ام عباس » لمحمد المرزوقي في حفلتين امام 836 ناظر

يستفاد من استعراض هذا النشاط وذكر هذه الأرقام :

ـ ان الشعب التونسي مقبل على المسرح

ـ وان عدد النظارة الذين حضروا تقديم المسرحيات الراقية عربية اللغة بلغ 900 12 في حين ان عدد المتهافتين على المسرحيات الدارجة اللهجة بلغ 248 25 ، اي ان عدد المولعين بالتمثيل الجميل الراقي في موضوعه ولغته وتقديمه واخراجه يبلغ اكثر من نصف المحبين للمسرحيات البسيطة الرخيصة التي تقدمها بعض الجمعيات بدون اي اعداد لا من ناحية الحفظ ولا من ناحية الاخراج وهذه لعمري نسبة مشرفة ببلاد تشكو التخلف في جميع الميادين وخصوصا في الميدان الثقافي . ولو كان قراء الكتب المفيدة على مثل هذه النسبة وهو ما نرجوه ، لنادينا بانه لم يعد عندنا تخلف ثقافي ، لان نسبة كهذه قليلة جدا في غيرنا من العواصم .

ـ وان بعضا من الفرق لم تراع لحد الآن التضحيات التي تتكبدها بلدية تونس من أجل رفع مستوى الفن بهذه الديار . فالبلدية تعطي محلات للفرق كي تضمن كرامتها وتكون لنفسها اندية تجتمع فيها وتتمرن . وتزودها بمنح ذات بال لتحرضها على اتقان عملها حتى تهتم بالكيف اكثر من اهتمامها بالكم . وتكون لها لجنة قراءات للسهر على المستوى المطلوب .

لكن هذه الجمعيات مستمرة في صراخها واحتجاجاتها والادعاء بفقرها على الرغم من وفرة مداخيلها وقلة نفقاتها ولا تبدي اي نشاط يذكر مع ان لديها من العناصر ما يسمح لها بتقديم اجمل المسرحيات في رفعة وجمال .

ـ وان بعضا من الفرق التي حاولت تقديم مسرحيات راقية لم تراع في اختيارها ما يتماشى مع مستوى افرادها . فتجنح مثلا الى اختيار قطع فلسفية عميقة المعنى ، صعبة الاخراج ، وهي لا تملك ما يسمح لها بوضعها على الركح بصورة لائقة فيكون الاخفاق مصيرها . والحال ان المطلوب من الفرق انما هو اتقان عملها في دائرة امكانياتها لا مطاولة الاشياء التي لا قدرة لها عليها .

ـ وجملة القول هي ان المسرح لا يمكن له ان يعيش وان يؤدي رسالته التوجيهية ـ خصوصا في بلاد فتية لم تسترجع سيادتها الا منذ سنين قلائل ، في بلاد جندت جميع قواها لمقاومة التخلف وتحقيق نهضتها حسب تصميم محكم . قلنا لا يمكن له ان يؤدي رسالته الا اذا كانت الحكومة والبلدية مشرفتين عليه . فقد انتهى عهد الاشتراع الفردي والارتجال والاستخفاف بالشعب . والتمثيل عنصر حيوي للمشاركة في عمل الحكومة البنائي ولذا وجب علينا ان نستغل اقبال الشعب عليه لنجعل منه اداة فعالة لتثقيفه وتاديبه ورفع مستواه الاجتماعي وتربية ذوقه الفني .

◆ وجهت مجلة أضواء عددا من الاسئلة على الدكتور صلاح الدين المنجد حول الاستشراق والمستشرقين اجاب عنها كما يلي :

## 1 ـ نظرا لخبرتك الواسعة في شؤون الاستشراق ، هل لك ان تعلمنا عن أثر المستشرقين في نهضتنا العلمية الحاضرة ؟

لقد كان للمستشرقين اعظم الأثر في نهضتنا العلمية في القرنين الاخيرين ، بل لا اغالي اذا قلت ان المستشرقين هم الذين بذروا بذور هذه النهضة ودفعوها الى الامام .

## 2 ـ لكن الشائع ان محمد علي هو الذي بدأ بالنهضة العلمية الحديثة ؟

ان محمد علي ساعد على النهضة ولم يكن باعثها الاول . لقد يسر ، بحركة الترجمة التي قام

بهـا ، اتصال الشرق العربي مـع الفكر الفرنسي خـاصة ، ولكن في ميادين محـدودة • امـا المستشرقون فهم الذين جعلوا الشرق العربي بتماس مباشر مع تراثه القديم • وهم الذين عرفوا المشارقة بأصول ادبهم وتاريخهم وحضارتهم ، هم الذين وضعوا بين ايديهم شعـرهم القـديم وروائع مؤلفات الاقدمين في الادب والفلسفة والتاريخ • وعلى الجملة هم الذين جعلوهم يتلفتون الى الوراء للافادة مما كان فيه ولا ننس انهم هم الذين علموا الباحثين الرواد من العرب اسس البحث العلمي •

## 3 ـ وما هي اعمال المستشرقين على الضبط ؟

تنقسم اعمال المستشرقين الى قسمين :

1 ـ النصوص القديمة العربية التى نشروها نشرا علميا • قبل ان يبدأ العرب بنشر هذه النصوص •

2 ـ الدراسات المختلفة التى قاموا بها ووضعوها عن الشرق العربي وحضارة الاسلام •

## 4 ـ هل تعتقد ان المستشرقين نجحوا في نشر المخطوطات القديمة ؟

ان نجاح كل مستشرق في نشر النصوص القديمة يتعلق بمدى اتقانه اللغة العربية ، ولقد كان الكثيرون منهم متقنين ، مجتهدين ، يحاولون ان يقدموا النصوص صحيحة • ولكن اللغـة العربية بحر محيط ، فاذا اخطأ بعضهم او تنكب عن الجادة ، او لم يستطع فهم المعنى المقصود في النص ، فهذا بنظرى ليس بالمهم • فكل عالم يخطئ • ويمكن تصحيح الخطأ • المهم ان المستشرق قضى سنين وشهورا في العمل عـلى نشر نص يهمنا ، ويتعلق بحضارتنـا • وليس في العمل العلمي كله شيء اصعب من نشر المخطوطات • انه عمل جحود ، لذلك ينبغي شكرهم على نشرهم تراثنا القديم والاعتراف بصنعهم •



## 5 ـ وما رأيك في دراساتهم ؟

ان طائفة من المستشرقين بحثوا في الدراسات الاسلامية والعربية بتأثير ديني او سياسي • هؤلاء عرفوا بسرعة ، حتى من زملائهم المستشرقين انفسهم • وقـد افقد هذا التأثير دراساتهـم الكثير من شأنها العلمي . وطائفة اخرى درست امورنا بـروح علمية بحتة ، فاتت بـدراسات رائعة يفخر بها الفكر العلمي الاوروبي الحديث ، من حيث النهج ، وسعة الاطلاع الى نتائج اصيلة•

## 6 ـ وما رأيـك في مستقبل الاستشراق ؟

ان كثيرا من الدوافع التى كانت تدفـع الى الاستشراق قـد ضعفت او زالت • واعتقـد أن الاستشراق الآن يتجه ـ لدى المستشرقين الجدد ـ اتجاها علميا بحتا • وقد يشذ عن هذا بعضهم. على ان كون المستشرق لا يستطيع معرفة العربية جيدا الا بعد سنوات طوال ، وقبل ان يبلغ الخمسين ، يجعل الاستشراق يميل نحو الضعف • ولا شك ان المستشرقين يحتفظون دائما بالمنهج العلمي ، ولكنهم تعوزهم معرفة اللغة • لذلك اعتقد ، كما سبق وصرحت لجريدة « الحياة » ، ان الوسيلة الوحيدة لازدهـار الاستشراق مرة ثانيـة ، ومتابعته اعماله العلمية ، هو في تعـاون المستشرقين مع علماء العرب . لان كل فريق يتمم نقص الفريق الآخر . واذا لم يتم هذا التعاون فان الاستشراق سيزول ، او سيصبح من الضعف بحيث يفقد شأنه القـديم • لأن الكثير من علماء العرب هم أعرف بلغتهم من المستشرقين وقد عرفوا الآن مصادر حضارتهم وتاريخهم وتأثروا بالمنهج العلمي الاوروبي الى حد بعيد أو قصير • وهم آخذون في اتمام نقصهم •

وهذا التعاون ، اذا تم فانه لا يغنى الدراسات العربية والاسلامية فقط ، بل انه يقـود الى تفاهم حضارى انساني نحن باشد الحاجة اليه •